آفات في بيت الزوجية

آفاق

في بيت الزوجية

حاتم إبراهيم سلامة

آفاق في بيت الزوجية

اسم الكاتب: حاتم إبراهيم سلامة
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف:
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى
رقم الإيداع: 2018 / 20500
الترقيم الدولي: 978-977-776-778-1

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
السادس من أكتوبر – المحور المركزي – مول سيتي ستار
01030365801

جميع الحقوق محفوظة

إهداء

إلى زوجتي الحبيبة التي وجدت فيها كل معاني الحب والود والصدق والطيبة والخلق الرفيع، فكان وجودها بجواري يشعرني دائما أن الله تعالى ميزني واختارني وخصني بهدية ثمينة، وإنسانة عظيمة، ما تقاصرت يومًا عن واجبها، ولا تخلت عن دورها ومسؤوليتها، حتى استطاعت أن تنشئ بيتًا سعيدًا خاليا من الآفات والأكدار والمنغصات.

مقدمة

حاولت في هذه السطور، أن أرصد بعضًا من الصور السلبية المريرة التي تعاني منها كثير من بيوتات الزوجية، وتضرب ذلك الرباط الوثيق الذي يجمع بين الرجل والمرأة، كزوجين وشريكين في حياة واحدة ويضمهما بيت واحد، ولعلنا بقراءتها وتأملها ندرك كثيرًا من الحقائق التي تكشف لنا هذا الجرم العظيم، وتبين لنا كم نحن آثمون ظالمون لو أننا تقمصنا يومًا بعضا منها في بيوتنا وتعاملنا مع أزواجنا وزوجاتنا، إن الحياة الزوجية والاندماج تحت سقفٍ واحدٍ والشروع في تكوين أسرة، رسالة سامية تتطلب للقيام بمرادها والمشاركة فيها، أن يكون المبادر صاحب قيم ومروءة وعدالة ودين وضمير، ويوم أن يتجرد أحد الشريكين من هذه اللآلئ فلن تستقيم حياته كما ينبغي أن تكون، وكما يرغب أن تقوم، وسيقيم بيته تحت جمر من نار، ويحيا مع شريك حياته أيامًا سوداء قاتمة، وحياة تفوح مرارة وتعاسة، بلاء كبير يوم أن تكون ضيق النفس معقدًا مأفونًا متسلطًا، تنتصر لنفسك على حساب الآخرين، تغط في أنانية فجة لتحرم من يشاركونك في الحياة أنفاسها.

وهم ثقيل يوم أن تتحولي من زوجة تتفهم رسالتها في الحياة، إلى مصدر هم ونكد وضيق وحزن، بدلاً من أن تُسعديه تُحزنيه، وبدلاً من أن تُغنيه تفقريه، وبدلاً من أن تبهجيه تشقيه، تعشقين ذاتك وتعيشين لطموحاتك، وتتصلبين لأهوائك، وتتعصبين لآرائك، وتقدسين أنانيتك .

إن عدم الفهم السليم لمعنى الحياة الزوجية وإقامة البيت الذي هو لبنة من لبنات المجتمع، وعدم الإدراك الغائر لتأثير الخلاف وذهاب الوئام على البيت والأبناء في مستقبلهم، والاستجابة السريعة للعُقد النفسية التي تُعاني من النقص والتسلط المريع على شريك الحياة، والإصرار على السيطرة وفرض الرأي، والرغبة في إظهار التفوق والاستقواء، وخلو الحياة الزوجية من الروح

والمعاملة الإنسانية التي هي أساس الحب والمودة والسكينة والوئام، كلها بلاءات يجب أن نقف عليها ونظهر فيها أنفسنا، لتحيا بيوتنا مضيئة بالحب مشعة بالأمل والإنسانية والوئام.

إن المعاملة بين شريكي الحياة، ليست كمعاملة الأثاث الذي يتكون منه البيت، ونشكله كما نريد ونختار، وإنما نتعامل مع إنسان في جوفه قلب إنسان، ومشاعر إنسان، ووجدان إنسان، فلماذا يصر البعض أن يجحد فيمن حوله حقيقة هذه الإنسانية.

ولا يحسبن القارئ ابتداء، أن بين يديه كتابًا يتناول المشكلات الأسرية، ويُوجد لها الدواء المناسب الذي يبدد أزماتها ويزيل محنها، لأنني لم أكن يومًا طبيبًا نفسانيًا أو خبيرًا أسريًا، وإنما أردت أن يتحول هذا السفر في المقام الأول نذيرًا يقرع أسماعنا ويوقظنا، حتى نفيق على ما نأسى ونعاني فيه من أمراض عكرت صفو حياتنا.

كثيرون من الأزواج والزوجات يَغُطُونَ في عيوبهم ويوغلون فيها، ولا يجدون الواعظ الذي ينهاهم، والبصير الذي يهديهم والناصح الأمين الذي يردهم إلى جادة الحق والصواب.

ولقد أحببت أن يكون كتابي هو الناصح الأمين، الذي يرصد كثيرا من هذه العلل المزمنة، ويقوم بهذا الدور الرسالي فيوقظ شريكي الحياة من غفلاتهما التي توشك أن تقضي عليهما وتسوقهما لطريق لا لقاء بعده.

حاتم إبراهيم سلامة

حتى يتجدد الحب

بعض الشباب، حينما يرى فتاة بديعة ينبهر بجمالها، ويُفتن بحسنها، ويندهش برقتها ودلالها، وفي هذه اللحظات الساحرة، يظن أو يتخيل، أن هذا الإعجاب العظيم والانبهار الكبير، يوحي له أن نعيم الجنة سيتحقق لو كانت هذه الفتاة من نصيبة! وتخيلوا مع مرور الأيام، وسبحان مقلب القلوب ومغير الأحوال، فبعد أن يرتبط بها ويُعاشرها ويروح معها ويغدو، حتى تنتهي حالة الانبهار، وتتبخر في السماء، وكأنها لم تكن موجودة.! لأن العين ألفتها والعاطفة تشبعت بها، وهذا دائمًا طبع الإنسان وسجيته إذا شبع من شيء كان يتلهف عليه بالأمس.!

وإذا كان الانبهار يزول ويتبخر في السماء، وهو حدث لا شك يهدد مسيرة الحياة الزوجية ويصيبها بالفتور، كان لابد لنا حياله من البحث والتأمل، والوصول إلى وسيلة نعوض بها هذا الانبهار المفقود، والإعجاب المتبخر، فنؤكد لهما أن الانبهار ليس هو أساس الحياة الزوجية، وصُلب العلاقة بين طرفيها، فالانبهار شيء والحب شيء آخر، وإذا كان شعورنا أن الانبهار الذي فقدناه يؤثر سلبًا على العلاقة، فلابد إذًا أن يعلن الحب عن وجوده بقوة، وأن يجهر بصوته العالي مزلزلاً آذانهما ليثبت ويقرر أنه أساس الوئام، ومعقد الرباط، ووشيجة الصحبة وموئل العاطفة، والطريق الحقيقي لحياة زوجية سعيدة، ولكن هذا الإعلان والتنبيه، لا يملك الحب صولته من تلقاء نفسه، معتمدًا على قوة عضلاته، وإنما لابد للطرفين أن يعملا على إحيائه، وتنشيطه وتشجيعه

والتمسك الصارم بعملية تجديده، التي تمثل حجابًا سميكًا أمام أي فتور أو نفور.! وليسمح لي القارئ أن أُثير هنا بعض التساؤلات في إطار الدردشة العابرة في الحياة الزوجية، لألفت نظر الزوجين لأمور بسيطة يسيرة، لكنها للأسف خطيرة ومؤثرة، ولو أنها أُهملت وهمشت فإن عود الحب يذبل وجسده يهزل وتموت نضارته في القلوب والنفوس.!

وهنا نقول متسائلين مقترحين: ما يمنع الزوج دومًا أن يقدم لزوجه هدية كل فترة زمنية أو مع كل مناسبة، مصحوبة بكلمات الحب والغرام؟ وما يمنعه أن يَصحبها وأولادها في رحلة سياحية ترفيهية، تخلق بينهما الذكريات الأثيرة والمواقف الجميلة؟ وما يمنعه أن يُناديها دومًا بأحب الألقاب إلى نفسها، ويخاطبها دوما بأحب الكلمات التي تشعرها أنها متربعة على عرش قلبه؟

وما يمنعه أن يهرب من كل تصرف وفعل يُحزنها أو يُسيء إليها ويجرح كرامتها؛ أو يولد غيرتها؟ ما يمنعه أن يغدق عليها بالمال حتى يُشعرها أنه وما يملك تحت تصرفها؟ ماذا به لو أنه قرر يومًا أن يساعدها في إعداد الطعام، ويقف معها جنبًا إلى جنب في مطبخ البيت؟ ماذا يضيره لو طلب منها أن تصحبه في كل خطواته وأنه لا نجاح له إلا إذا كانت بجواره؟ ماذا به لو أطلعها على بعض خصائصه وأسراره، وطلب رأيها ومشورتها ليشعرها بأهميتها في حياته؟

أما الزوجة، فإن عليها العبء الأكبر، والمسؤولية الأضخم، ويجب أن تملك زمام المبادرة، لأنها منبع الحب، ومهد العواطف، وموطن الوجدان، وما يمنعها لكي تجدد الحب في قلب زوجها أن تُشعره باهتمامها المتواصل، وأنه أثمن ما في عمرها وحياتها، والمسيطر على قلبها وكيانها؟ ماذا يضيرها لو تزينت

له كل يوم حتى تُرضي ذوقه وتثير أشواقه، وتظهر له من جمالها وزينتها ما يُبقي عينه مأسورة لديها؟ ماذا بها لو اخترقت مجال اهتمامه وحاولت أن تشاركه بعض أفكاره ورؤاه؟ ماذا بها لو شجعته دومًا أن يُحدثها عن مشاعره وخواطره ومشكلاته وهمومه؟ ما يمنعها لو عزمت أن تشتري له هدية في شيء يحبه ويهواه؟ ما يمنعها أن تُقبله بشفتيها كلما غدا أو راح؟ ما يمنعها أن تُعد له من الطعام ما يحبه ويبهج نفسه ويثير شهيته؟ ماذا يكلفها لو ارتدت له زيًا أنيقًا بلون يهواه وتفصيلا يميل إليه؟

مجرد دردشة تحمل بعض التساؤلات والاقتراحات، لعلها تهدي الكثيرين لعلاج الفتور الناشئ في الحياة الزوجية وإحياء وتجديد عاطفته، مهما تبدد الانبهار وزال الإعجاب، ليبقى الحب سيد الموقف عند من يقدرون ويعقلون.

كلمة إعجاب تُشجعها كثيرًا، تجعلها تهتم أكثر بنفسها؛ ملابسها، شكلها، فكلما داومت أنت في تقديم كلمات الإعجاب، ظلت هي محتفظة بجمالها ورونقها وشكلها،

حافظ دائمًا على انتقاء الكلمات الجميلة والطيبة، النظرات المعبرة كافية في كثير من الأحيان عندما تحمل معنى الحب والحنان أو الإعجاب.

لاحظ مزاج زوجتك، فإذا وجدت أن بها تغيرًا ملحوظًا، سلها في حنان واهتمام: ما بك؟ ألاحظ أنك متعبة، متغيرة، هل هناك ما تشكين منه، تأكد أن هذه الكلمات مع نبرة صوتك الحانية، قد تقلب تكشيرتها رأسًا على عقب.

من الجميل أن تتغزل في جمال زوجتك، ولكن الأجمل أن تتغزل في عقلها وتفكيرها وأحاسيسها ومشاعرها.

إن أردت أن تمتلك قلب امرأتك، حدثها كل يوم عن شيء جديدٍ استطعت أن تكتشفه فيها.

يُردد البعض مقولاتٍ مثل: إذا لم تكن زوجتي جميلة ماذا أقول لها؟ وللرد على هؤلاء نقول: إن "الجمال ليس جمال الشكل بل جمال الروح، وإن العيون هي مصدر الإحساس بالجمال، فالعين الجميلة ترى كل الأشياء جميلة، وهناك عيون ترى حتى الجميل قبيحًا.

استخدم كلمة "شكرًا"، فرغم كونها كلمة واحدة، فإنها تكفي في موقف يستدعي ذلك، فما المانع أن تقولها لزوجتك عندما تقدم لك كوبا من الشاي، أو عندما تجدها متعبة وهي تعد لك الطعام: أعرف أنك متعبة ومجهدة، سامحيني على عدم مساعدتي لك، جملة تذيب كثيرًا من الاحتقان، والنقمة على العيش المجهد ما بين متطلبات العمل والزوج والأولاد والمنزل.

قرر أن تدخل المطبخ -ولو مرة واحدة في الشهر- وقم بإعداد وجبة العشاء، تأكد أن الجميع سيتسابق على مساعدتك وسوف تخلق روحًا جميلة من المرح داخل المنزل في ذلك اليوم.

إذا كنت مقدرًا لما مرت به زوجتك وتمر به من تعب، فما المانع أن تعود إليها وتقدم لها زهرة جميلة تفوح برائحة طيبة تهدئ الأعصاب، وتنعش العاطفة، لتكون رسالة تقدير لما تبذله.

فزوجتك لا تريد أن تشتري لها جوهرًا ولكنها تريد اهتمامك فقط وإشعارها بتقديرك المتواصل لجهودها ووجودها، وهو بنظر المرأة طلب إنساني تستحقه.

تعلموا فن الحياة الزوجية

أتخيل أحيانًا وأقول أمام ما يعرض علي ويحكى لي من مشكلات الحياة الزوجية، التي تؤرق حياة كثير من المتزوجين، لماذا لا تكون الحياة الزوجية علمًا يدرس وفنًا يعلم للمقبلين على الزواج؟ يتعرفون خلاله على أساليب المعاشرة، وأسرار التعامل، وطرق المعايشة التي تُبنى على الحب والمودة.

وقد يقول قائلٌ وهل كان آباؤنا وأجدادنا الأولون يدرسون هذا العلم، أو يحتاجون لمن يعرفهم فن الحياة الزوجية، وطرق العشرة بين رفيقي درب الحياة؟!

والحق أنه سؤال جيد، لكني أعتقد أن السائل يؤمن مثلي تمامًا بأن الأقدمين كانوا أكثر احترامًا لبيت الزوجية، وتقديرًا لمسؤوليته، وتقديسًا لمعنى الأسرة والبيت والرباط الوثيق بين الرجل والمرأة، وأنهم كانوا أوعى كثيرًا من جيل مستهتر بكثير من القيم والمبادئ والأصول والاحترام والحياء وجبر الخواطر وخوف الله تعالى.

إن الأنانية وسوء الأخلاق وانحدار النفوس، أتعست حياة الكثيرين، وملأت بيوتهم بالشقاء والبلاء، وصار الطلاق والانفصال وهدم البيت، هو أسهل الطرق لفض نزاعات وأزمات، كان من الممكن أن يزول داعيها لو كانت هناك أخلاق تحكم، وقيم ترشد وتوجه.

إن هؤلاء وأشباههم في حاجة ماسة، ليتعلموا فقه الحياة الزوجية، وما معنى أن ينشئ المرء بيتًا وينجب ذرية؟ إنهم يحتاجون إلى معرفة الآداب

والقواعد، التي تُبنى عليها أسمى علاقة في حياة الإنسان، العلاقة التي يمتد بها العنصر البشري، لماذا لا يتأهل المقدمين على الزواج نفسيًا وعلميًا، ليعيشوا حياةً زوجيةً متوازنةً، تُقلل المشكلات والعقبات لحدها الأدنى، وتوعيهم بعظم مسؤولياتهم القادمة، التي تتحمل عبء تكوين أسرة وإنجاب أبناء؟

لابد من الدعوة إلى محو الأمية الزوجية والأسرية، وتحصيل العلم والمعرفة الضرورية في هذا الجانب، لتجنب الشروخ التي تهدم وحدة الأسرة.

بعض الدول فطنت إلى ذلك، فنجحت في الحد من الخلافات الأسرية، وخفض نسب الطلاق لديها، من خلال إلحاق الأزواج الشابة بدورات تأهيلية خاصة، وإقامة محاضرات ودروس، تعلّمهم ثقافة العشرة الزوجية، وتعمل على إيجاد روح للتفاهم بين الزوجين، وتدريبهم على مهارات التعامل مع الخلافات وأساليب حلها، لأنهم يدركون أن الأسرة نواة المجتمع، والدوحة التي يتنامى في ظلها أفراده، فإن كانت قوية متماسكة، ضمنت سلامة أفرادها، وإن كانت رخوة متفسخة خرجوا شراً ووبالاً على المجتمع.

وقد كانت التجربة الماليزية من أنجح التجارب التي نفذت ذلك عمليًا، فكانت لها ثمارها الطيبة على الحياة والأزواج، حيث اشترطت في إتمام عقود الزواج، أن تستكمل بحضور دورات في تعليم فنون العلاقات الزوجية، وكيفية التعامل مع الطرف الآخر، وحدود الاحترام بينهما، وكيفية حلّ المشاكل الزوجية لمدة شهر واحد، مما ساهم في تقليل معدلات الطلاق وتراجعها في ماليزيا، من ٣٢% إلى ٧%، وهي أقل نسبة في العالم.

كما أولت اليابان أهمية خاصة بهذا الجانب، حيث يدرس في مناهج تعليمية مفصلة، فيما أوجدت الولايات المتحدة علمًا خاصًا بذلك، أسمته (علم السلامة الزوجية)، وجعلت له خبراء ومتخصصين وعلماء نفس واجتماع، وكان لنشر هذه الثقافة أثر إيجابي فعال في إدارة المشاكل الزوجية وحصرها لدى مجتمعها.

وفي بريطانيا تم تنظيم فصول دراسية في «بيرمنغهام»، يقتصر حضورها على الأزواج، يتلقون فيها محاضرات على أيدي أساتذة متخصصين يتعلمون من خلالها فن الإصغاء الزوجي، وفن الصمت والكلام، وكيفية حسم الخلافات والمشكلات.

وشاءت الاقدار أن أحضر لبعض المدربين لمثل هذه الدورات عن فن التعامل في الحياة الزوجية، وقد ظننتها ابتداءً أنها عبث وهراء، وأنها لا تحمل شيئًا مفيدًا أو تضيف لي ما لا أعلمه، والحق أنني وجدت فيها أشياء لم تكن لتجول بخاطري، كما لفتت تفكيري لأمور مهمة، أستطيع لو طبقتها أن أشعر بمعاني السعادة الزوجية في بيتي ومع شريكة حياتي، وأن نُوجد مساحة كبيرة من التفاهم وأرضية هائلة نلتقي فيها باختلافاتنا وتباينا.

كما أريد القول والتأكيد بأنه: مهما برع العلماء والاجتماعيون والنفسيون في تحديد معالم هذا العلم، فإن السنة النبوية وسيرة الرسول الكريم حظيت بالقدح المُعلى، والنموذج الأسمى، في فن العلاقة الزوجية، ووضع المعالم الواضحة للأطر التي تُقدم للدنيا بيتًا ناجحًا راقيًا ساميًا، ومن يقرأ سلوك النبي الكريم ﷺ في تعامله في بيته ومع زوجاته، يرى أورع وأرفع ما قُدم في هذا الفن،

من قدرة فائقة على احترام الزوجة وجذب مودتها وحبها وتقديرها، حتى في المعاشرة الزوجية تناولتها السنة المباركة، وبينت آدابها وسلوكياتها التي تؤهل الطرفين لمتعة جسدية ممزوجة بسعادة روحية.

إن مثل هذه الدراسات توفر للرجل والمرأة فهم نفسية كلا منهما لصاحبه، حتى يقدر على التعايش معه، ويحلل سلوكياته وتصرفاته، ويتوقع اختياراته وانتقاءاته، وتدفعهما الرغبة الأكيدة في العيش تحت سقف واحد، أن يُزيلا ما بينهما من خلافات وتعارضات، ويمهدا للانسجام حتى يأخذ حظه ومكانه في قلوبهما، إن المرأة بحاجة لأن تعرف الكثير عن طبيعة الرجل، وتتفهم نفسيته وصفاته، وكذلك الرجل بحاجة لمعرفة المرأة وطبيعتها وفهم مسالكها، والوقوف على أساليب تفكيرها، وإدراك الطرق التي يسلكها ليصل من خلالها إلى قلبها، فمع يسير من الفهم والدراسة والتأمل تزول أمغاص كثيرة من بيوتنا.

متجملون أم كاذبون؟!

يلتقِ كل شريك بشريكه، ويجمع بينهما الألفة والترابط، وفي أيام الخِطبة، وقبل الاندماج كروح واحدة تحت سقف واحد، يتجمل كل منهما للآخر ولا يظهر له إلا المحاسن والمحامد والصورة الزاهية الجميلة، وتتخفى وراء ذلك كله أشياء كثيرة، وعيوب مريرة، لا يستطيع أحدهما أن يكتشفها في الآخر، مهما أوتي من قوة البصيرة، وتمتع بذكاء وقاد، أو كان خبيرًا بالنفوس والشخوص.

إن بعض الخبراء الأسريين ينصحون بإطالة مدة الخطوبة أطول فترة ممكنة، حتى يتاح لكلا الشريكين أن يختبر الشريك الآخر عن قرب، لأنه ومع مرور الأيام لابد أن تظهر سجاياه وعيوبه مهما حاول أن يُخفيها، ولكني أقر أنه مهما طالت هذه الفترة، وتكررت بينهما اللقاءات والاجتماعات، فإن كلا منهما سيجتهد في خداع صاحبه، وإخفاء عيوبه ونقائصه، حتى يتم الزواج، وتبدأ عملية الكشف وإزاحة الستار عن الحقيقية المرة، التي يخرج ماردها معبرًا عن وجوده الكئيب.!

ولعل هذه النقائص والعيوب التي عمينا عنها بالأمس وصرنا اليوم نراها ونشعر بها ونعاني آلامها، نجدها درجات ومستويات، ولكن يا شؤمها وياشؤمه، ذلك الذي يجد في صاحبه عيوبًا قاتلة فاجعة، لا حل لها إلا البكاء والعويل والندم الشديد، ولَعنِ هذا اليوم الذي عرف كل منهما الآخر والتقاه، ورغب في الاقتران به.!

وتسير الحياة تئن معها النفوس وهي تتجمل بالصبر، حتى تأتي اللحظة التي ينفجر فيها الإنسان، لأنه لم يعد يتحمل هذا الضغط المريع، الذي يصبه شريكه عليه يومًا بعد يوم.!

أما العيوب البسيطة الهينة اليسيرة التي يجدها أحدهما في صاحبه، فإن هذا عليه شيء مُلِّح في وقته، وهو أن يجلس بُرهة، ويرفع أكفه إلى السماء شاكرًا ربه حامدًا خالقه، لأنه لم يجد في شريكه شيئًا صادمًا، أو عيبًا مُزمنًا، يجعل حياته مرةً قاحلة، وليوقن وقتها أن الله تعالى قد اختار له السعادة، وشاء أن يكون له بيتًا هانئًا يشعر فيه بالسكينة والراحة والحظ السعيد.

يخطئ كل من الرجل والمرأة، إن ظنا أن لهما طباعًا يصعب التخلي عنها، أو يرى أحدهما أن تغيير طباعة يُعد تنازلاً عن كرامته، ولكن هناك أشياء كثيرة في الحياة تدفعنا للتضحية والتنازل والتغافل والتغاضي، ومن ثم، أفلا تكون الحياة الزوجية، أدعى أن نُضحي من أجلها، ونتنازل عن كثير من نوازع النفس وأهواء الذات؟!

انظر معي أيها القاري ويا أيتها القارئة، لهذا الشتاء القارس، وكيف يُرغمنا على ارتداء الملابس الثقيلة المتينة السميكة، التي قد تعوق حركتنا وتمنع انطلاقنا، حتى تُحقق لنا الدفء المنشود، وتحفظ أجسادنا من لسع البرد الشديد.؟! وبهذا التصور، ننظر للحياة الزوجية التي تُرغمنا على أمورٍ تُقيد رغباتنا، حتى تُحقق لنا الدفء المنشود من المودة والسكينة، وتظل وارفة الظلال، مثمرة الأيام، علينا أن نتكيف مع مستجداتها ولا نصادمها، لنُخضِع

لها رغباتنا وطباعنا وإرادتنا وغاياتنا، فهي المستقبل والمصير لوجود كريم يحقق نعيم الانسان.

تحكي إحداهن وتروي كيف تبدل زوجها بعد الشهور الأولى من الزواج، فتقول: "أين هو الحنان والكرم الذي ألفته منه وعودني عليه؟! كل شيء تبخر، فصار أمامي رجل آخر لا أعرفه بتاتًا، صرت أمام رجل صنم، لا يطيق حتى مجرد النظر إليّ. أشياء كثيرة وجديدة لم تكن بادية فترة خطوبتنا، اكتشفتها خلال السنة الأولى للزواج، أشياء كثيرة طفت على السطح لتُعلن عن نهاية زواجنا، بعد أن كنت أظن أنه هو الزوج المثالي الصادق الحساس والكريم، لأستيقظ على كابوس مرعبٍ، وحقيقة زوج بخيل وبارد المشاعر والأحاسيس.

وتسرد أخرى مأساتها فتقول: رغم الكم الكبير من المشاعر العاطفية الجميلة والرائعة التي جمعتني بزوجي خلال فترة الخطوبة، إلا أنها تبددت وماتت بعد الزواج مباشرة؟! فإن أخلاقه وأفعاله وأقواله، تفوقت عليها نوازع القوة والسيطرة عنده، فصار ينفجر بعصبية في وجهي لأتفه الأسباب، وها هي (٦) أشهر مرت على طلاقي، ولم أستسغ بعد ما حدث، حالات من الشرود تنتابني بين الفينة والأخرى، كلما أحاول استرجاع شريط الذكريات، فلا أملك إلا لوم نفسي، وتكبد شقاء هذه الزيجة الفاشلة.

أما هذا الزوج المصدوم فيروي لنا ويقول: إن صورة فتاة أحلامي البريئة اللطيفة التي أصبحت زوجتي اندثرت بالكامل، لتتحول إلى وحش أتت على عيشي بالهم والتنغيص والنكد، ثلاثة أشهر من عش الحياة الزوجية، كانت كافية لترسلني لعالم الغم والأحزان، ولينتهي كل ما بدأناه وكتبناه بأحرف من

حب في أروقة المحاكم، والآن لا ينفعني الندم في شيء، لأني لم أحسن الاختيار، ولم أتحسس صدق النوايا والنفوس منذ الوهلة الأولى".

إن الخداع والتظاهر والتجمل، من أسوأ الصفات والجرائم التي يقترفها الإنسان في حياته، فهي خيانة ووقيعة، وطعن غائر في الظهر، حينما تتظاهر بشيء وأنت ضده، وتتجمل بصفة وأنت على خلافها، لتوقع فريستك التي تكتشف بعد فوات الأوان، إنك أنت البلاء والجحيم والعذاب، الذي ظلت طول حياتها تتجنبه وتخشاه وتدعو خالقها ليل نهار أن لا يوقعها فيه ويبعدها عنه.

فعلى مقربة من بعضهما يجلس الخاطب بجوار مخطوبته، فيتجمل كلاهما للآخر بأكمل الكلمات، وأرق البسمات، وأسمى الصفات، حتى يدعي كلاهما قرب وصوله للكمال البشري المنشود في الحياة، بينما هناك خلف هذه الوجوه المتبسمة عقول عفنة، وخلف هذه الأجساد المتجملة، نفوس حقيرة نتنة، تذخر بكل معاني الرداءة والسوء، وتستمر المجاملة ويستمر التظاهر ويستمر الخداع، حتى يستفيق الجميع على حجم الكارثة، وعمق المأساة بعد الزواج، فيتولد الشجار والنفار ثم الانتحار!

لماذا لا يُظهر الطرفان عيوبهما وطباعهما الحقيقية، كما يبالغان في إظهار المحاسن الزائفة؟ وهي لا شك أكبر عملية نصب وخداع، واحتيال يقوم بها كثير من البشر في حياتهم من حيث يدرون أو من حيث لا يدرون، ولعل المرأة أكثر من يقع فريسة وضحية لهذه الخيانة، لأنها دائمًا هي التابعة و المقودة لسيدها والقيم على أمرها، أما الرجل، فربما وأحيانًا يستطيع التصرف والعلاج، لو وجد في زوجته صفة كانت تدعي خلافها، أما هي فلا تستطع علاجًا ولا تصريفًا إلا

الانكباب على همها ودموعها وصدمتها، فما أخبثه وأجرمه حين يخدعها بأنه كريم جواد، ثم تجده بعد الزواج أبخل الناس وأمسكهم، يخدعها بأنه شجاع مقدام، فإذا به خائف جبان، يوهما بأنه قوي جبار، فإذا به واهٍ ضعيف، يظهر لها أنه شهم ذو مروءة، ثم لا تراه إلا نذلا منحطًا، يخدعها بأنه عفيف شريف، فإذا به لص محتال، يخدعها بأنه مخلص صادق، فإذا به حقود كذوب، يوهما بأنه محب رقيق رفيق، فإذا به غبي غشوم يضربها ليل نهار، يدخل عالم اهتماماتها، ويقنعها أنه يحب ما تُحب، ويهوى ما تهواه، وبعد الزواج يتهم اهتماماتها بأنها فراغ وتفاهة.!

قرأت يومًا أن فتاة أرادت أن تقترب من شاب، فنظرت إليه؛ ووجدته يقرأ كل يوم في كتاب، فعلمت كيف تصيده؟ حين أدركت أنه مثقف يحب الكتب، فأسرعت واشترت كتابًا وتعمدت أن تظهر أمامه وهي تقرأ، فكان يبصرها دومًا على هذه الصورة التي تروقه، وتخيل المسكين أن هذه الفتاة هي الأمل المنشود الذي يبحث عنه، وأنها المثقفة التي ستتواءهم معه وتشاركه أفكاره وميوله لو ارتبط بها، ولما اقترنا تركت الكتاب واكتشف المخدوع أنها سطحية تافهة، وما كانت حركتها إلا مصيدة لخداعه وإيقاعه.!

وحكت لي إحدى الأديبات الواعدات، أن لها قريبة تقدم لخطبتها شاب أُرغمت عليه، وبعد الزواج خرجت من البيت لبعض شأنها لتعود إليه وتجد المصيبة الكبيرة، فالزوج ملقى على الأرض ويسيل فمه بالرغاء والزبد، وجسده يرتعد كمن مسه صاعق الكهرباء، ولما ذهبوا للطبيب، أخبرها: أنه يُعاني من

مرض الصرع من سنوات، وظلت المسكينة المخدوعة في معاناة نفسية مع الزوج الذي لم يكن يقدر جهدها وصبرها رغم علته وخيانته وخداعه.!

وزوج آخر كانت لديه مشكلات جنسية، ولم يكن يستطيع أن يؤدي دوره في معاشرة زوجته، وحار معه الأطباء في العلاج، وذهب في تصرف أحمق وتزوج فتاة صبرت عليه، ثم ما لبثت غير قليل حتى دخلت معه في مشكلات ومحاكم طالبة للطلاق.

ولله درها من فتاة طلبت من أخت خطيبها، أن تذهب معها لحجرتها لتكشف لها عن جانب خصرها فتريها أثرًا لعملية جراحية هينة أجرتها منذ سنوات، لتُعلم بها أخاها، حتى تكون أمينة معه من أول يوم لارتباطهما، ويكونا على نور لو ظهر له من خفاياها شيء.

أيها الشباب والشابات، لا أملك بعد رواية هذه المآسي، إلا أن أقول لكم: اجتهدوا في معرفة من تريدون الارتباط بهم، اسألوا عنهم جيدًا، تحروا ماضيهم وحاضرهم، تبينوا تلك البيئات التي تربوا فيها، انظروا في أعينهم جيدًا عساكم تخرجون منها بشيء، اختبروهم في بعض المواقف التي تظهر معها طباعهم الحقيقية، اطرحوا عليهم كثيرًا من الأسئلة وانظروا في جواباتهم وحللوها، حتى تتعرفوا عليهم جيدًا، تعرفوا على ميولهم وأهوائهم وهواياتهم التي ربما تصلون منها لحقيقة الشخصية.

سمعت شيخنا (حسن أيوب) رحمه الله حينما شكت إليه امرأة فساد حال زوجها وُشربه للخمور وهجره للصلاة، فلم يكن جوابه رحمه الله إلا أن قال: وما الذي داعك أن ترتبطي به وقد علمتي عنه فساد دينه.؟!

ليست المشكلة للزوج والزوجة أن يكتشفا في بعضهما عيوبًا بعد الزواج، ولكن الألم أن يكتشف كلاهما صفات، كان يدعي كل منهما أنه على نقيضها وضدها وبريء منها.! ما أجمل الصدق والوضوح حتى يستطيع الطرفان أن يأخذ كل منهما قراره الصائب، تجنبًا لحياة تعيسة بئيسة تتفجر قهرًا وألمًا ودموعًا.

التغافل ضرورة زوجية

تُبنى العلاقة الزوجية، على المودة والتراحم، فهي علاقة سامية تتولد في رحابها كل معاني المحبة والوداد، التي تستطيع بفاعليتها أن تستأصل معالم النقص في حياة الزوجين، والزوجان بحكم قربهما، يتعرف كلاهما لعيب الآخر، الذي قد يظهر بين الحين والحين، وفي ظلال العشرة اليومية بين الطرفين، قد تظهر بعض تلك العيوب، وتصدر بعض النقائص، مما لا يتقبله الطرف الآخر، أو تُشعره بالضيق والجزع، فقد يكون الزوج متسلطًا على الزوجة، يراقب تصرفاتها بمجهر، ويتصيد لها الأخطاء، ويحصي لها الهفوات، فلا يمر موقف دون عتاب أو تعليق، ولا يمر فعل دون لوم أو تعنيف.

وعلى الصورة الأخرى، قد نجد زوجة نكارة لكل ما يصدر عن زوجها من خير وبر، لا تشكره، بل تعدد أخطاءه، وتحصي عيوبه، وتنشر أخباره، ولا تذكر أبدًا ما يسرها منه، ومثل هذا النوع تتعامى عينه دومًا عن مواطن الجمال والفعال الحسنة، لأنها معقودة ألا تُبصر غير العيوب.

ولعمري، فهذه حياة لا تستقيم بمثل هذه الشحناء، والعلاقة الجافية الرعناء، التي ماتت فيها كل عناصر الود والتغافر والتراحم، لابد للطرفين أن يتعلما (فن التغافل)، الذي يعني التعامي والتغاضي عن كل صفة مرذولة، أو فعل منفر، أو طبع قبيح، بل إنه التغافل عن كثير من السفاسف والأمور التافهة، التي تُفسد الحياة.

ففي الصحيحين في حديث أم زرع: " قَالَتِ الْخَامِسَة: زَوْجي إِنْ دَخَلَ فَهِدَ، وَإِنْ خَرَجَ أَسِدَ، وَلاَ يَسْأَلُ عَما عَهِدَ".

يقول ابن حجر في الفتح: (يحتمل المدح بمعنى: أنه شديد الكرم، كثير التغاضي، لا يتفقد ما ذهب من ماله، وإذا جاء بشيء لبيته لا يسأل عنه بعد ذلك، أو لا يلتفت إلى ما يرى في البيت من المعايب، بل يسامح ويغضي)

ويقول أحمد بن حنبل:(تسعة أعشار حسن الخلق في التغافل)

ويقول الحسن البصري: (مازال التغافل من فعل الكرام)

وكان رسولنا ﷺهو النموذج الأمثل الذي يُحتذي به كل مؤمن، وقد كان صلى الله عليه وسلم صورة راقية في بيته وعلاقته بزوجاته، وأرى أنه لو تم إحياء سيرته المباركة في هذا الجانب، لتتعرف عليها الأجيال الصاعدة، فإن فهمهم للعلاقة الزوجية سيكون أرحب، وتقديسهم لمكانتها سيكون أوفر، وقد شهد له القرآن الكريم بما كان عليه من خلق التغافل، الذي عسانا اليوم أن نتأسى به في علاقاتنا مع شركائنا في الحياة.

يقول الحق تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ}[1]

ورد في سبب نزول الآية ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها، قالت: " كان النبي ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، ويمكث عندها، فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير، إني أجد منك ريح

١- التحريم :٣

مغافير، قال: لا، ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدًا "

(فهذا هو ما حرمه على نفسه وهو حلال له: (لم تحرم ما أحل الله لك؟).

ويبدو أن التي حدثها رسول الله ﷺ هذا الحديث وأمرها بستره قالت لزميلتها التي حاكته معها، فأطلع الله رسوله ﷺ على الأمر، فعاد عليها في هذا وذكر لها بعض ما دار بينها وبين زميلتها دون استقصاء لجميعه، تمشيًا مع أدبه الكريم ﷺ، فقد لمس الموضوع لمسًا مختصرًا لتعرف أنه يعرف وكفى، فدهشت هي وسألته: {من أنبأك هذا؟}، ولعله دار في خُلدها أن الأخرى هي التي نبأته! ولكنه أجابها: {نبأني العليم الخبير}، فالخبر من المصدر الذي يعلمه كله، ومضمون هذا أن الرسول ﷺ يعلم كل ما دار، لا الطرف الذي حدثها به وحده.!]

وهكذا ينبغي على الزوج أن لا يستقصي أخطاء زوجته وهفواتها ويقف لها عند كل كبيرة وصغيرة.

وقد قيل: الرجل الذي يتوقع من المرأة أن تكون ملاكا عليه أن ينشئ لها جنة فالملائكة لا تعيش في الجحيم

أخرج بن مروديه عن علي كرم الله وجهه (ما استقصَى كريم قط) وأخرج البيهقي: (ما استقصى حليم قط)، فلماذا لا نرتقي بفهمنا، فنتعالى على غيظنا، فنتصور ما يحدث من عثرات في طريق حياتنا الزوجية، بمثابة ملح الطعام، الذي يُعطي طعمًا لذيذًا للحياة؟ لماذا يَغيب العقل ويزول، حِيال كثير من

التصرفات التافهة البسيطة، التي نأبى إلا أن ننفخ في رمادها لتكون نارًا تحرق سعادتنا؟

ثم تأتي الزوجة من جهة أخرى، تدقق في أموره، كما يدقق في أمورها، ماذا تقصد بكذا؟ وماذا تعني بقولك كذا؟ لماذا تأخرت؟ لماذا لم تشتر لي هدية بهذه المناسبة؟ لماذا لم تتصل بوالدي لتطمئن على صحته؟

وهكذا يدفع كلا الطرفين بهذه المهاترات، لتصبغ حياتهما بالسواد القاتم، وتحيل جوها عكرًا ملولاً، (فلنتغاضى قليلاً حتى تسير الحياة سعيدة هانئة لا تكدرها صغائر، ولتلتئم القلوب على الحب والسعادة، فكثرة العتاب تفرق الأحباب، وجميل أن نتغابى لنكسب من نحب، وجميل أن نوهم من أمامنا أنه أكثر حكمة ودراية ومعرفة، فينفش الطاووس ريشه، وكأنه لا أحد مكانه.) [1]

(١)-جريدة الوطن من مقال لعبدالله العمري عدد٣٦٤١ تاريخ السبت ١٤٣١/١٠/٩هـ

بين المحاسن والمعايب

يجب أن نؤكد كثيرًا وباستمرار، حتى لا ينسى والأزواج والزوجات، أن النظرة للحياة بينهما يجب أن تقوم على شيء من التوازي والتساوي الذي لا جور فيه، وأنه لا يوجد في الحياة إنسان كامل، فكل منا فيه عيوبه بقدر ما تظهر مميزاته، وعلينا إذا أبصرنا العيوب، أن لا نسمح لأعيننا أن تتعامى عن المحاسن.

وهذه العيوب ربما يحاول الكثيرون إخفاءها عن الضوء، وحجبها عن أعين الناس، لكنها لا يمكن أبدًا أن تخفى عن الزوج والزوجة، اللذان يعيشان في بيت واحد، وتتعرى أمامها الأفئدة والطباع قبل الأجساد.!

إن أحدهم يقترح على الزوجين قبل أن يعيشا في بيت واحد، أن يكتبا وثيقة وعقدًا يشمل كل ما يُثري الحياة، ويوفر المتعة، ليحترم كل شريك شريكه، ويشعره بقيمته، ويقلل مخالفاته وسوء معاملاته، ويوقع الطرفان على الوثيقة برضاء كامل، وقد تضاف بنود جديدة وتحذف أخري، المهم أن يظل النظام قائمًا والاحترام متواصلاً.! ولعل هذه المواثيق والاتفاقيات والقواعد تؤهل الزوجين لتلافي كثير مما يقابلهم من صدمات هذه المعايب، والتأقلم مع ما يجِدُ لهما من مشكلات قد تكون سببًا في هدم بيت الزوجية.

إن الدخول في عملية الزواج دون العلم بأنها بناء يقوم على التغافل والتسامح والعفو و التغافر المستمر لكل خطأ أو هفوة قد تدفعهما إليها ضغوط

الحياة، فإن الفشل في هذا الرباط يرفرف لواءه من أول يوم في بيت الزوجية الذي غفل أصحابه عن سبيل النجاة حينما تهب رياح الأزمات.

كما أن الدخول فيها لابد أن يصاحبه إيمان كامل كما ذكرنا بأن كل إنسان لا يخلو من العيوب، وإرادة جادة في التعامل معها ومحاولة علاجها أو التأقلم معها، فإذا لم يستطع أحد الطرفين أن يتقبل عيوب الآخر أو يتحملها، ولم تثمر هذا الجو المرجو من التواؤم، فلينظر المتضرر وقتها في مصيره وليحدد وجهته وفق ما شرعه الله تعالى من الحلال البغيض.

على كل طرف من الزوجين، وقبل أن يحكم على الآخر ويُعدد عيوبه، أن ينظر لنفسه ويُسائلها هل خلت من العيوب؟ هل برئت من السلبيات؟ لابد من إيجاد حوار صادق صريح مع النفس، قبل أن تطلب من قرينك أن يكون ملاكًا، بينما هو بشر مثلك تمامًا، يمشي على التراب، ولابد أن يناله غبار الطريق، فكلنا إذن في الهم سواء.!

ومن المؤكد أن التعامل مع العيوب يختلف باختلاف درجاتها ومستوياتها،

فهناك عيوب نتغاضى عنها وننساها بمجرد حدوثها كأن لم تكن.

هناك عيوب نفكر فيها ونحاول إصلاحها والبحث عن أدوائها.

وهناك عيوب نتعامل معها بالرفق واللين والنصيحة الهادئة.

وهناك عيوب نتعامل معها بالمصارحة والمواجهة

وهناك عيوب لا نتعامل معها إلا بالشدة والحزم، حتى لا يُطلق لها العنان فيتكرر حدوثها وتُصيب بيت الزوجية في مقتل.

إن ثقافة التسامح وتقدير الآخر والنظر لظروفه، والتأمل في أعذاره وأعبائه، تساعدنا كثيرًا في تقدير الأمور، ووأد نيران الغضب التي يمكن أن تشتعل أمام كثير من العواصف فتأكل الأخضر واليابس ولا تبقي للمودة مكانًا.

ولعل هذا الكلام بالتحديد هو ما جسده أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) ﷺحسب ما روي أن رجلاً جاءه يشتكيه زوجته التي تخاصمه وترفع صوتها عليه، وعندما وصل إلى بيت أمير المؤمنين عمرﷺوإذ به يسمع زوجته وهي ترفع صوتها في وجهه وتخاصمه، فعندما وجد الأمر كذلك هم بالانصراف وإذ بأمير المؤمنين يخرج من بيته صدفة، فقال للرجل: ما الذي أوقفك ببابي يا رجل ؟قال جئت أشتكيك زوجتي يا أمير المؤمنين فسمعت زوجتك تخاصمك فقلت في نفسي هذا أمير المؤمنين تفعل معه زوجته هكذا فكيف بي أنا؟ فقال سيدنا عمر ﷺ يارجل والله لقد بسطت منامي و طهت طعامي وتحملت أوزاري، أولا أحتملها أنا كذلك إذا رفعت صوتها في وجهي.[1]

[1]-قيل أنها قصة لا تصح ولم يوجد لها عند أهل العلم أصلا، وقد ذكرها الشيخ سليمان بن محمد البجيرمي الفقيه الشافعي في "حاشيته على شرح المنهج" (٣/ ٤٤١-٤٤٢)، كما ذكرها أيضا أبو الليث السمرقندي الفقيه الحنفي في كتابه "تنبيه الغافلين" (ص: ٥١٧) ، وكذا ابن حجر الهيتمي في "الزواجر" (٨٠/٢) ولم يذكر واحد منهم إسنادها ، بل صدروها كلهم بصيغة التمريض التي تفيد التضعيف عادة : " ذُكر أن رجلا " ، " روى أن رجلا " ، وهذا مما يدل على أن القصة لا تصح.

نعم إنه التوزان في الرؤية والعدالة في أسمى معانيها وهي التي استوحاها وتعلمها إن صحت القصة من هدي النبي الكريم ﷺ حين قال: (لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر.)[1]

يقول شيخنا الدكتور (محمود عمارة) قدس الله روحه ونور ضريحه في تعليقه: (إن كرهت منها خلقًا، ففيها خلق آخر تحبه، فهو عوض عما فاتك منها، إذا فاتها جمال الوجه، فما فاتها جمال الروح، وإن حُرمت من الإنجاب فقد رفعت رأسك بين الصحاب، بحسن سمعتها وحسن تبعلها، وهي وإن لم تكن بنت وزير أو مدير، فقد أسعدتك سعادة لا ترف لها أجنحة في بيت الوزير أو الأمير؟

وربما كانت بين زميلاتها فقيرة، فهي أيضًا بينهن أميرة، جمعت لك من أخلاقها النبيلة ثروة لا ينقصها الإنفاق، إن لها من علو الهمة، ما يطاول القصور العالية، ولها من زينة العفة ما يزري بحلية الذهب والفضة، ثم قد يكون لك منها أطفال صغار، وأنت بلا شك تحب الأطفال، وإذن فعليك أن تحب من يحبهم وهي زوجتك، زوجتك التي قد تخاشنك في الحديث أحيانًا، لكن نصيبك المفروض من حنانها مصروف لحساب أولادك أنت، فتتنازل عنه راضيًا ودعها ترضعهم من حنانها ولا تعكر دمها بمشاعر الكراهية، فيستحيل لبنها في كيانهم سمًا.)[2]

---

[1]- رواه مسلم

[2]- نحو أسرة بلا مشكلات د. محمود عمارة

ألا إن الذين يجدب الحب في حياتهم، يجب أن لا تغيب عنهم أخلاق الفرسان ومروءة النجباء، وليعلموا أن العشرة تفرض عليهم عاطفة تتخطى وتتجاوز في مقدارها ملحمة الحب ودوحة العشق، وهو المفهوم الذي أرشدنا إليه أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب)ﷺ وأوجده في أذهاننا حينما قابل ذلك الرجل الذي جاءه يستشيره في طلاق امرأته، فقال له عمر: لا تفعل، فقال الرجل: ولكني لا أحبها قال عمر ﷺ: ويحك وكم من البيوت يُبنى على الحب؟ فأين الرعاية وأين التذمم؟ ويقصد عمر ﷺأن البيوت إذا عز عليها أن تُبنى على الحب فهي خليقة أن تُبنى على ركنين آخرين شديدين هما:

1. الرعاية: التي تثبت التراحم في جوانبها ويتكافل بها أهل البيت في معرفة ما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات.

2. التذمم: وهو التحرج من أن يصبح الرجل مصدرًا لتفريق الشمل وتقويض البيت وشقوة الأولاد، وما قد يأتي من وراء هذه السيئات من نكد العيش وسوء المصير.

* ومثله أيضًا وجهه في رواية أخرى للمرأة التي تبغض زوجها فقال: 'بلى فلتكذب إحداكن ولتجمل . أي تقول القول الجميل . فليس كل البيوت تبنى على الحب ولكن معاشرة على الإحسان والإسلام'.

وهي نظرة صائبة، فهذا الحب الذي يصوره الشعراء بأنه نار ولهيب، تصيبه أوقات ينطفئ فيها، وتفتر روافده في القلوب، ولا يتبقى بين الزوجين إلا العشرة الحسنة، والمعاملة الطيبة، فالبيت له رسالة عظيمة يتشارك الطرفان

فيها، حتى يتمانها على أكمل وجه، فيعيشا على الحلو والمر، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، وهو الرباط القوي الذي يشتد به قوام الحياة الزوجية.

قرأت في رواية قواعد العشق الأربعين صورة لهذا الانطباع ولفتا مهمًا إليه فقد كان ديفيد زوج إيلا طبيب أسنان ناجح، يعمل لساعات طويلة وجمع الكثير من المال ، كانت إيلا تعرف أن علاقتهما لم تكن عميقة، لكنها كانت تقول لنفسها: ليس من الضروري أن يحتل الارتباط العاطفي أولوية في قائمة حياة المتزوجين، لا سيما بالنسبة لزوجين مضت فترة طويلة على زواجهما، ففي الزواج أشياء أهم بكثير من العاطفة والعشق، كالتفاهم والمودة والرحمة، وأن أكثر الأشياء الإلهية التي قد يقدم عليها أي زوج هو الصفح، أما الحب فهو ثانوي بجانب كل هذه الاشياء"

الغيرة الحمقاء

يذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في حوادث سنة ست وثمانين ومائتين: "قال في المنتظم: ومن عجائب ما وقع من الحوادث في هذه السنة: أن امرأة تقدمت إلى قاضي الري (مدينة في إيران اليوم)، فادَّعت على زوجها بصداقها خمسمائة دينار، فأنكره، فجاءت ببينة تشهد لها به، فقالوا: نريد أن تسفر لنا عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجة أم لا؟ فلما صمَّموا على ذلك قال الزوج: لا تفعلوا، هي صادقة فيما تدَّعيه". فأقر بما ادَّعتْ ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها، فقالت المرأة حين عرفت ذلك منه، وأنه إنما أقر ليصون وجهها عن النظر: هو في حِلٍّ من صداقي عليه في الدنيا والآخرة، فقال القاضي وقد أعجب بغيرتهما: يُكْتَبُ هذا في مكارم الأخلاق"

يهجر رؤيتها غيرةً عليها، وكان من أروع ما قرأت عن الغيرة ما قرأته وحكاه الأستاذ (عمر التلمساني) عن زوجته ومدى حبه لها وغيرته عليها

لا شك أنه إحساس طيب يغمر قلب الإنسان بالسعادة، حينما يشعر أن هناك من يحبه ويعشقه ويخاف عليه، ويريد أن يمتلكه وحده، ويستأثر به لنفسه، والغيرة في حقيقتها تعبر عن مدى الحب والاهتمام الذي يبديه كل طرف لصاحبه، وهو ما يزيد من مسافة الحب بين الطرفين، وهي ظاهرة صحية قبل أن تنقلب أو تخرج عن مسارها الصحيح، لتتحول إلى شك وريبة، وظن متسلط، ووساوس وأوهام قاتلة، تكون نواةً لهدم البيت الذي تجمع طرفاه سلفًا على الحب والود.

إن الغيرة المحمودة مطلوبة مرغوبة، أما المذمومة فإنها أول سلم للفراق والافتراق، فمن يزرع بذور الشك يجني ثِمار الشوك، تقول الحكمة الإنجليزية: " أطلقي طيرك فإن لم يعد بعد تأكدي أنه لم يكن لكِ منذ البداية، فغيرتك لن تحفظه، وشكك لن يمنعه من العبث"

وأوصى أحد السلف ابنته فقال لها: "إياك والغيرة الزائدة فإنها مفتاح الطلاق"

وليس الرجل بعيداً عن هذا، فقد كان أحد الشعراء الجاهليين مشهورًا بالغيرة الشديدة، وكان من حوله يحذرونه من عاقبتها، ولكنه لم يستمع لهم، وذات يوم كان يسير في الطريق ومعه زوجته فرأى رجلاً ينظر إليها، فما كان منه إلا أن طلقها، فتعرض للوم من أصحابه فقال لهم:

سأترك حبكم من غير بغض ٍ** وذاك لكثرة الشركاء فيه

وإذا سقط الذباب على طعام ٍ** رفعت يدي ونفسي تشتهيه

وتجتنب الأسود ورد ماء ٍ** إذا كان الكلاب ولغت فيه

لقد قال سعد ابن معاذ يومًا: لو رأيت رجلاً مع امرأتي، لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: (تعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغير منه والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن،.إلخ)

هذا حال النساء، أما التي تدعي عدم الغيرة فإما أنها باردة المشاعر، وإما أنها ذات طبيعة خاصة غير طبيعة النساء، وعلى النقيض من ذلك، هناك بعض النساء اللاتي يبالغن في غيرتهن، فإذا حضر الزوج من عمله، تحاصره

بالأسئلة عن العاملات معه، وماذا كن يرتدين اليوم؟، وهل فلانة أجمل مني؟، وهل تحدثت معها؟ وهل، وهل، وهل؟ إلى أن يضيق صدره، بل ربما تلفت بغير قصد منها إلى امرأة أخرى، وربما يؤدي ذلك إلى أن يقوم الزوج بالزواج من ثانية.

غيرة عليها أم قهراً لكيانها؟

هناك من يضيقون على المرأة إلى حد الكبت والقهر بحجة الغيرة عليها، فلا يجب أن يراها إلا لزيمة البيت، لا تخرج من بابه إلا للقبر، فليس من حقها أن تتعلم، أو ترى الدنيا، أو تثبت ذاتها وتساهم في مسيرة الحياة وبناء النهضة والحضارة.

وهذا الجُرم في تغييب المرأة ووأدها، خلف أجيالاً من الحمقى والجهلاء، لا ترقى بهم أمة، أو تقوم على أيديهم نهضة، بل كان الحُمق في ازدرائها سبيلاً ومكنةً لأعداء الإسلام.

وقد نبه الإمام ابن رشد إلى أن تردي المجتمع الإسلامي وتخلفه، يعود في أهم أسبابه إلى تردي أوضاع المرأة فيه، وهو الذي جاهر في تعليقه على كتاب السياسة لأفلاطون: بأن النساء والرجال نوع واحد وأن لا فرقَ بين الرجل والمرأة في الغاية الإنسانية. والفرق الوحيد الذي يراه هو في احتمال الكدّ الجسدي الذي يَقدر الرجل عليه أكثر من المرأة.

يصف المفكر الفرنسي (رولان بارت) المرأة بأنها المعمل الثقافي، ويقول: أنا لا أتصور حضارة بدون المرأة، وعندما تكون المرأة (تحت الصفر) فلا مجال

مطلقًا للحديث عن (شعب) وإنما يجب الانتباه إلى مأساة كبرى يُواجهها (قطيع بشري).

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: " إن مستقبل الإسلام رهن بإعادة النظر في قضايا عديدة، منها قضية المرأة فالتضييق عليها كان مدخلاً لأعداء الدين لكي ينفذوا إلى المجتمع المسلم"

فلابد للغيرة أن يكون لها ضوابط تسهم في مسيرة الحب بدلاً من أن تكون معولاً للهدم.

الخرس الزوجي

أكثر شيء تتعجب منه أو تأسى له، حينما تجد زوجين يجتمعان في بيت الزوجية، وكل منهما صامتٌ أخرس لا يتكلم، ولا يعرف ما الذي يتحدث فيه.! وأسوأ منه ذلك الذي يُحدثُ زوجته هاتفيًا، وبعد أن يطمئن عليها وعلى أولادها يصمت، لا يعرف ماذا يتكلم، وهي كذلك، يتجمد لسانها ولا تعرف ماذا تتكلم؟ وفي أي شيء تتحدث؟ حتى لو كلمته في شأن من الشؤون، أو قصت عليه خبرًا من الأخبار، فإنها بعد أن تنتهي تصمت ولا تجد ما تتحدث فيه.!

إن الصمت الطويل، وحالات الخرس الزوجي من أشد الآفات التي تقضي على الوئام والقرب بين الزوجين؟! وإذا كان الصمت والهدوء في كثير من الأحيان محمود مطلوب مرغوب في شخص الإنسان، إلا أنه بين الزوجين يُدلل على بُعد ونُفور، ووجود حاجز كبير بين الطرفين، يمتد من اللسان إلى القلب، وتلك مصيبة كبيرة لو طالت مدتها دون أن تجد العلاج، حيث تتجمد المشاعر وتنمو الوحشة بين الرجل وزوجه.

ولعل أفضل الطرق للقضاء على هذه العلة، أن ندرك أولاً أنها عِلة، ثم ندرك ثانيًا طريقة العلاج الناجحة، التي تُبنَى على اقتحام كل منهما لعالم الآخر، فيشاركه اهتماماته ورغباته وهواياته ومواهبه، وإذا تكاسل أحدهما عن هذه المهمة، فإنه يتكاسل عن العلاج ويُمّكن للداء أن يستفحل خطره ويتفاقم عظمه.!

إن المشاركة في الهوايات والمواهب والميول بين الزوجين، تخلق مناخًا قويًا من الانسجام والتوافق والتواؤم والالتقاء الذي يقضي تمامًا على علة الصمت المزمنة، ويُنبت بذور الكلام والحوار التي لا تنتهي ثمارها في بيت الزوجية على الدوام، كما توجد مناخًا قويًا وشعورًا كبيرًا بالارتياح والتفاهم في الحوار ووجهات النظر في الآراء، والأمور التي تجعل الإنسان سعيدًا في بيته مستأنسًا بشريك حياته.

هناك زوجة لا تعي شيئًا من حياتها غير المطبخ وأدواته وأكلاته، لا يجذب انتباهها إلا المائدة، وما فيها من جديد الطعام وطرق إعداده وتحضيره، وإذا استمعت لأحد البرامج التي تتناول أكلة جديدة تراها تُنصت بتركيز عنيف، وكأنها تستمع إلى بيان ثوري يخاطب الشعب، وربما يكون للزوج اهتماماتٍ عليا وغايات سامية، ويرى أن الحديث في أمور المطبخ ووصفات الأكلات هراء ومهزلة لا تليق برجولته، لكنه لو علم أنه بهذا سيقترب من زوجته وأم أبنائه، ويُنبت بينهما غذير الكلام، فإنه سيقبل متنازلا عن أوهامه ويقبل ليلج في مثل هذه الأحاديث التي تُقربه من اهتمامات الزوجة، فيقضى على داء الصمت بينهما.

هناك زوج يعشق القراءة ويهوى الكتب والثقافة والاطلاع والاستماع للمحاضرات وحضور الندوات، ويقضي أغلب وقته بين كتبه في مكتبته، لكن زوجته غير ذلك، فهي لا تُحب الكتب، ولا تهوى القراءة، ولا تُعيرها أي اهتمام من قريب أو بعيد، ولكنها حتمًا ستُشعِرُ هذا الزوج بوحدته، والنفرة مما يرتبط به ويهواه، لكن ماذا عليها لو أنها غيرت مسارها واستطاعت أن تقترب من قلب

زوجها حينما تقترب من اهتماماته وهواياته، لأنها تريد أن يعلم أنها مثله، تشعر بما يشعر به، وتوافقه تمامًا فيما يرغب ويحب، لعلها تجد صعوبة في القراءة، ولا تستطيع أن تجبر نفسها على ذلك، ولكن عليها أن تكون ذكية فتدور حول الموضوع دون أن تلح فيه، فتسأله مثلاً:

ماذا قرأت اليوم؟ ماذا كتبت اليوم؟ هلا قصصت علي قصة طريفة مما قرأت؟

هل تعلم أن المكتبة هي أجمل ما في بيتنا وكتبها التي تصطف على رفوفها هي أجمل مشهد يراه الإنسان في بيته صباحًا ومساءً.؟ وهكذا بذكاء تدور معه حول ما يحب حتى يحب فيها حبها لما يحب.!

ربما تكون مجالات وهوايات كل منهما غير منسجمة، ولكننا لا نعدم المحاولة من الاقتراب منها، والتعرف عليها، والتجربة في مجاراتها، كما يجب على الطرف الآخر صاحب الهواية والاهتمام أن ييسر طريقًا ليشرك فيه رفيق حياته، فيتعرف عليه، ويحاول التجربة فيه، عله يهواه أو يتعلق به، وينشأ بين الطرفين نوعٌ من التوافق والاهتمام المشترك الذي يُولد الانسجام والقرب.

ولننظر إلى هذه التجربة الناجحة، التي قام بها الأستاذ (سلامة موسى) حيث قال في مذكراته: (عقب الزواج وجدت صعوبتين أولاهما أني أحترف الأدب والصحافة، وأتعلق بالقراءة وهوايتي هي الثقافة، والزوجة تعد الإنفاق على الكتب إسرافًا ، ثم هي أيضًا لا تطيق رؤية زوجها وهو غارق في كتابه طوال الوقت أو معظمه في البيت، وخاصة إذا كانت هي لم تتعود إدمان القراءة، والصعوبة الثانية هي التفاوت العظيم بين مستويينا الثقافيين، وكانت زوجتي

قد تعلمت في مدرسة فرنسية تديرها الراهبات، ويتجه فيها معظم العناية إلى التعليم الديني، ولذلك وجدت أنه للتغلب على هاتين الصعوبتين، أن أشرع في تعليمها من جديد، فصرت أشركها فيما أكتب وأناقشها في جميع الموضوعات الثقافية التي أهتم بها، وبدهي أن كل زوجة تهتم بحرفة زوجها، ولما كانت حرفتي هي الصحافة والأدب والعلم، فإنها اضطرت إلى تتبع نشاطي حتى ارتفعت على مستواها السابق كثيرًا، وبهذا الوفاق بيننا بل أكثر من ذلك، إذ هي قد أصبحت صديقتي كما هي زوجتي، وظني أن خير طريق إلى الصداقة الضرورية بين الزوجين، أن يرفع الزوج زوجته إلى مستواه الثقافي إذ هو حين يقصر في ذلك يجد أن التفاهم معدوم أو ملتبس، فلا يكون الحديث بينهما إلا في الشؤون التافهة، ويعودان وكل منهما يعيش في عالم منفصل عن العالم الذي يعيش فيه الآخر، والصداقة التامة تحتاج إلى التكافؤ الثقافي بينهما أو ما يقاربهما.)

وأريد هنا وعلى النقيض مما ذكرت، أن أروي حالة صديق لي جمعنا سكن واحد أيام الغربة في مدينة جدة، لقد كان يُثير حفيظتي بأفعاله وتصرفاته، حيث يظل أكثر من ثمان أو تسع ساعات يُكلم زوجته عبر وسائل الاتصال، فأقول له بتكلمهم في إيه؟ وماذا تقول لهم؟ فالواحد منا أقصى ما يكلم به زوجته نصف أو ثلثي ساعة، لكن صاحبنا كان خارقًا في تصرفه اليومي حين يقضي هذه الساعات الطوال في الحديث الذي لا ينضب ولا ينتهي، ويومًا ما شاءت الظروف أن يتكلم أمامي على غفلة منه لأتعرف إلى نوعية حديثه مع زوجه، فربما أتعلم منه كيف نتكلم وفي أي موضوعات نتكلم، لكني فوجئت أن صاحبي يتكلم في أتفه الأمور، وأبسط المواقف، لدرجة أنه لو دخل الحمام

فإنه يقول لها: أنا دخلت الحمام، ولو أنه حك جلده لقال لها: إنني هرشت، حتى أنه من البلاء وجدته يحكي لها ما يحدث بيننا كأصدقاء من تصرفات ومواقف، فصارت هذه الزوجة وكأنها تعيش معنا وتحيا بيننا، وصرنا نتحفظ في كل المواقف لأننا نعلم يقينًا أنها ستعرض في نشرة الأخبار اليومية، ولعل هذا الزوج رغم تفاهته وتفاهة ما يتحدث فيه، إلا أنه لا يوجد في بيته مكان لداء الصمت.

أشباح الماضي

شرع الله تعالى الطلاق بين الزوجين، حينما تضيق بينهما مساحة الفهم والود والتلاقي، ويتمكن الكره من قلبيهما، فلا يستطيع أحدهما استيعاب الآخر وتحمله.! لقد صار الطلاق إذًا هو طوق النجاة، والمنفذ الوحيد للخروج من هذه الحياة الآسنة المملة.!

ولهذه الأسباب، ورغم أنه فراق واغتراب، وهدم أكيد لبيت كان يؤمل له أن تنشأ فيه أسرة، وتخرج منه ذرية، إلا أن الله تعالى أباحه، وميز به الإسلام عن غيره، ليواكب فطرة الإنسان، ففي الحديث: (أبغض الحلال إلى الله الطلاق)[1]

ويأخذ كلا من الزوجين بعد الانفصال، طريقهما إلى حياة جديدة، والبحث عن رفيق جديد يمكن التعايش معه، وإيجاد مساحة من التعاون والود والفهم والسكينة، التي فقدها في صاحبه الأول، وما أن تبدأ الحياة الجديدة، ويستعد كل طرف في محاولة ثانية لتكوين بيت الزوجية الذي ينشده، حتى تحدث أمور غريبة، وتتولد أفكار عجيبة، وتقفز عقد نفسية، وتظهر أفكار شيطانية، وتشتعل في الصدور أزمات نفسية، تكدر صفو الحياة، وتتسبب في بُغض الشريكين الجديدين، اللذين ربما لم يمر على اقترانهما شهر أو شهرين،

---

[1]-رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الحاكم ورجح بعض أهل العلم أنه مرسل وضعفه الشيخ الألباني في إرواء الغليل.

وذلك كله، لأن أشباح الماضي بدأت تلوح في الأفق، وتقفز إلى أذهانهما، لتنغص عليهما الحياة، وتصيب سعادتهما في مقتل.!

ولمزيد من التوضيح أقول: بينما الرجل مع زوجته الجديدة التي وجدت الأنس بين يديه، حتى يرتسم له في عقله وتصوره، أنها كانت في يوم من الأيام مِلكًا لغيره، وأن مفاتنها التي يستمتع بها تمتع بها غيره، وأن عرضها الذي منحته كانت تعطيه لغيره، ولا شك أنها مشاعر عصيبة، وربما شاذة تتملك بعض الرجال، ولا تدعهم حتى تفسد عليهم هذا الرباط الثاني والصفحة الجديدة في حياتهم، وربما تكون هذه المرأة التي تُجرب حظها للمرة الثانية، قمة في أخلاقها، وآية في طباعها وسلوكها، ولكن كل ذلك لا يشفع لها أمام وساوس قهرية، اعترت عقل زوجها وأفقدته رشده.!

ولو أننا خضعنا لهذه الوساوس، واعذرنا أصحابها وشجعناهم في الاسترسال فيها، فإننا نحكم على كثير من النساء بالبوار والعزلة، ليندفعن إلى طريق آخر، يجدن فيه العوض من حرمانهن وعزلتهن وهو طريق الانحراف والرذيلة.

هناك زوج وصل به الحال أن كره كل ما يتعلق بزوج قرينته القديم، كره اسمه وصورته، كره أبناءه، كره بلده، كره وظيفته، كره الشارع الذي يمشي فيه، حتى ولو كان متوفيًا غائبًا عن الحياة، كل ذلك لأن وساوسه الشيطانية تُخيل له أنه افترس عرضه واستباحه من قبل.!

لقد تحاورت مع شاب طلق زوجته بعد أن أنجب منها ولدين، ويريد أن يتزوج مرة ثانية، ولكنه كان رافضًا أي فكرة تدعوه ليقترن بفتاة تزوجت من

قبل، فلما حدثته يرهبه من ذلك قال لي: إنه لا يتصور، ولا يستطيع أن يتخيل أن تكون زوجته قد تمتع بها أحد قبله.!

ولعل المرء يعجز هنا حينما يقدم على توصيف هذه الحالة، هل هي نوع من الغيرة الشديدة؟ أم أنها عقدة نفسية؟ أم أنه نوع من التخلف العقلي يعجز عن إدراك كثيرًا من معاني الحياة الإنسانية؟

لقد استطعنا أن نجد بعض التوصيفات لهذا الشذوذ الإنساني، وربما نعذر صاحبه فيه! ولكن ماذا نفعل بامرأة تزوجت من رجلها الثاني ولم تستطع أن تنسى زوجها الأول، تتخيله دائمًا أمامها، تذكر كل أفعاله وحركاته، تحن كل لحظة لذكراه وأيامه، بل كثيرًا ما تُخطئ فتردد اسمه إذا أرادات أن تنادي زوجها الثاني، ولعلها معذورة لأنها أمور تحدث رغما عنها، أما تلك الزوجة الفجة التي تعقد على الدوام مقارنة بين زوجها الأول وزوجها الثاني، ثم تجهر بذلك محاولة كيده وإغاظته، فتقول له: فلان كان أجمل منك، وفلان كان أحسن منك، وأرقى منك، وأشيك منك، وأكرم منك، إلخ، فإنها لا شك مجنونة تُعجل بطلاقها وخراب بيتها مرة أخرى، لأنها تشعل نار الغيرة في نفسه، وتذكره بهذا الشخص الذي لا يبغض أحدا أكثر منه في الحياة، ويحاول دومًا أن ينساه ويحذفه من ذاكرته، ولا يختلف هذا الاستفزاز المتعمد، عن استفزاز الرجل الذي لا يدرك له بالاً ويعلق صورة زوجته الأولى على حائط البيت، ويحتفظ بذكرياتها وثيابها، وهداياها ومتعلقاتها، ويديم ذكر اسمها والثناء عليها، وكلما اضطجع على أريكته يُرثي أيامها الخوالي من حيث لا يشعر، وكأنه يريد أن يقول بكل ما يفعل، وفي رسالة غير مباشرة لزوجته الثانية: أن الأولى كانت أفضل

وأقرب وأعظم.! وإذا كان الرجل يستطيع السيطرة على مشاعر الغيرة في نفسه بعض الشيء، فإن المرأة لا تصمد كثيرًا أمام ألسنة اللهب التي تلح في الاشتعال.

على الذين لا يتقبلون فكرة الزوج الأول، وتؤرقهم أشباح الماضي، أن يعالجوا أنفسهم ويقرؤوا كثيرًا في حياة سلفنا الصالح، وسيرة النبي الكريم ﷺ وصحابته الأطهار، ليروا كيف كانت الأمور عادية طبيعية، ولم يكن في المسألة أي نوع من الحساسية والتوتر، وكان التعامل فيها يتم بكل سهولة وأريحية، وخلو تام من العقد النفسية، والوساوس القهرية، التي تهدر حق الإنسان في الاستمتاع بالحياة، والاستجابة لمتطلبات الفطرة الإنسانية، من الاشتهاء والمتعة، ولعلي هنا أسوق مثالاً يتأمله أصحاب هذه العلل الشاذة، وهم يتصورون أوهامًا تؤذي حياة الإنسان.

لقد كانت (أسماء بنت عميس) زوجًا لجعفر بن أبي طالب وولدت له عبد الله وعونًا ومحمدًا، فلما استشهد بمؤتة تزوجها أبو بكر الصديق رضي الله عنهما فولدت له محمدًا، ثم توفي عنها فتزوجها علي بن أبي طالب، فولدت له يحيى وعونًا وفي رواية: ومحمدا، فهي تدعى أم المحمدين، وكانت تخدم فاطمة الزهراء رضى الله عنها إلى أن توفيت، وقد تفاخر يومًا ابناها محمد بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، فقال كل منهما: أبي خير من أبيك، فقال علي بن أبي طالب، وكان حينئذ زوجها: يا أسماء اقضي بينهما، فقالت: ما رأيت شابًا كان خيرًا من جعفر، ولا كهلاً خيرًا من أبي بكر، فقال: ما تركت لنا شيئًا، ولو قلت غير هذا لمقتك. فقالت: (والله إنَّ ثلاثة أنت أخسهم لخيار)[1]

[1] -أخرجه ابن سعد (٨ / ٢٢٢)، وإسناده ثقات كما قال محقق السير (٢ / ٢٨٧) أي ثلاثة أنت أقلهم خيار، فكلكم خيار، وكلكم فضلاء، وكان علي ﷺ يثني عليها ثناء عاطرًا، ويفضلها على زوجاته.

ما أجملها من نفوس، وما أوعاها من عقول، وما أسماها من أفهام وعت رسالة الإنسان وغايته في الحياة، هل يستطيع هؤلاء المعقدون أن ينظروا لعلي ﷺكيف تقبل زوجة الراحلين، وكيف كان يحادثها ويؤانسها، بل كيف أنجب منها دون أن تتملكه عقدة شاذة يستنكرها الدين وتأباها الفطرة السليمة؟!

وفي موقعة القادسية وحينما تزوج سعد بن أبي وقاص من زوجة المثنى ابن حارثة كان بسعدٍ بعض جروح منعته من شهود القتال، لكنه جالس في رأس القصر ينظر في مصالح الجيش، وعنده امرأته سلمى بنت حفص التي كانت قبله عند المثنى بن حارثة، فلما فر بعض الخيل يومئذ فزعت وقالت: وامثنياه، ولا مثنى لي اليوم، فغضب سعد من ذلك ولطم وجهها.

فقالت: أغيرة وجُبنا؟ يعني: أنها تُعيره بجلوسه في القصر يوم الحرب - وهذا عناد منها - فإنها أعلم الناس بعذره، وما هو فيه من المرض المانع من ذلك.
فلئن كان زواج الأرملة والمطلقة أمر مشروع ولا حساسية فيه، فليس من المشروع أبدا أن تفضل الزوجة قرينها الأول أمام قرينها الثاني وكذلك العكس.!

احذر أخلاق زوجتك

مهما كنت قويًا في بيتك حاكمًا لأسرتك، ذا شوكة وشكيمة على زوجتك، ومهما كنت أنت صاحب الكلمة، وإليك المرجع في الرأي والمشورة، فإن هناك صِنفًا من النساء تستطيع أن تهزم هذه القوة فيك، وتنحيها جانبًا بما تملكه من قوة سحرية خافية غير مرئية، ربما تصيح غضبًا، وربما تزأر كل يوم كالأسد الجسور الذي يريد أن يقول للجميع: أنا الأقوى وأنا السيد وأنا صاحب الرأي الصارم والقرار النافذ، وفي النهاية تنظر وتدقق لترى في النهاية، رأي الزوجة ورغبتها وإرادتها هي المسيطرة والسائدة والنافذة، تراها وقد تحكمت في هواه ومزاجه، وشكلته حسبما تريد، وصار كل شيء في البيت يُشبهها ويتلون بلونها، فالجميع صار يفكر مثل تفكيرها، وتخطر في وجدانه نفس خواطرها وتخيلاتها وطموحاتها.! هكذا فعلت دون أن يكون لها قوة الأسد وزئيره، هكذا سيطرت دون أن يكون لها أنياب وعضلات تبطش بها وتخيف.

فما السر وكيف تحكمت وكيف سيطرت وانتصرت على الجميع برغبتها وسجيتها؟!

كيف ذابت في بحرها شخصية هذا الزوج القوي الجبار؟ كيف تبخرت معالم قوته التي كان يُعلن عنها ليلا ونهارًا، ولا يكف على التلويح بها والتأكيد عليها، لقد صار مثل زوجته وشبيهًا بها في كل طباعها وميولها ونزعاتها ورغباتها.!

أعرف زوجًا قوي الشخصية، لديه كثير من القيم والطباع الجيدة، فهو جواد شهم شجاع حكيم مؤثر زاهد قنوع، وللأسف، كانت له زوجة على غير

أخلاقه وضد صفاته، فهي مادية أنانية بخيلة حريصة حمقاء، تُحب ذاتها ولا تُعنى إلا بنفسها، وبعد مرور بضع سنوات من الزواج والاندماج والعشرة، انسلخ الزوج تمامًا من كل صفاته ليتلون بلون زوجه ويصير نسخة بالكربون من طباعها وصفاتها وأسلوب حياتها، بل للأسف تفوق عليها، وصار أبشع منها فيما صدّرت له من أخلاقها وخلالها السلبية السيئة.!

وأمام هذا التقليد المذهل كنت دومًا أتعجب وأتساءل: كيف تتغلب المرأة على الرجل فتؤثر فيه إلى هذا الحد الرهيب، أكثر مما يؤثر هو فيها؟ فهو الرجل والموجه والقيم والعارف بالحياة والملم بالخبرات، كيف لها وهي التي لم تبلغ ما بلغ في محراب الحياة أن تصبغه بصبغتها، وتطغى عليه بتكوينها؟!

وبتأمل طويل ومحاولة عميقة للفهم، أشعر أنني اهتديت للسبب المباشر في هذه المعادلة الغريبة الشائكة، فالعشرة والصحبة هي التي تكسب المرء أخلاق من يعاشر وتطبعه بصفات من يصاحب، قد تكون قويًا في نفسك ومواقفك، لكن لديك استعداد للتطبع والتلون والتأثر بمن حولك، فالقوة والعضلات شيء، والتأثر والتقليد شيء آخر، ومن هنا تشرب صاحبنا كل ما في زوجه دون أن يشعر، تمامًا كمن يشرب شربة ماء فتتوزع في كل أعضاء جسده.!

وبعد التشخيص ومعرفة العلة والداء، نقول للزوج الذي يعلم من زوجه أنها على خلاف أخلاقه وطبائعه: احذر زوجتك، حتى لا يتسرب إلى نفسه شيء مما لا يقبله، عليه أن يكون دائم الرفض لها والثورة عليها والاعتراض على أخلاقها، مقومًا لها في كل سلوكياتها، رافضًا هواجسها رادعًا لباطلها وأفكارها

التي تضاد ما ألفه وتربى عليه من الاستقامة وحسن السجايا، ولعل هذا الزوج وجهاده أمام ما يجد من زوجته، أخف كثيرًا وأرحم من هذه الزوجة السوية، التي ابتليت في الحياة بزوج معوج القيم والسلوك والطبائع، إذ كيف لها أن تثور عليه وتعترضه وهو الزوج؟ كيف لها أن تُرشده أو تنكر عليه وهو الذي يتربع على عرش القوامة؟

لا شك أنها ستتعب كثيرًا وتشقى كثيرًا، أمام هذه الصدامات التي تريد أن تثنيها عن قيمها وأخلاقها.!

هناك زوجة خطيرة، حينما يتعصى عليها قياد زوجها وتوجيهه لما تريد، وتنفيذه لما ترغب فيه، تبدأ بَدهيًا في وضع خطط محكمة، تتبع فيها أسلوبًا شيطانيًا خبيثا، حتى تستدرجه وتنزله إلى ما تريد، فهي تحيك الخطط، وتدبر الحيل، فتتمكن أولا من قلبه، وتبدأ في التقرب إليه، وتستخدم معه أسلوب الجرعات المتباعدة أو ما يسمى بالزن على الأذن، حتى إذا أدركت سماعه لها، واستجابته لحديثها، بدأت تضاعف من جرعاتها الخبيثة حتى يستسلم في النهاية لما تريده.

إنها تتبع معه أسلوب الحوار الهادئ، وتخدعه بالقول الناعم، وتحاول إغراءه في البداية إلى ساحة النقاش والدردشة، حتى إذا دخلها مسالمًا، تبدأ في دس السم في العسل، فترمي الشبهة تلو الشبهة حول أهله وإخوته، ثم تعيد الاشارة إليها وإعادة تدويرها، فلو أنكرها في المرة الأولى، فسوف يفكر فيها في المرة الثانية، ثم يقتنع بها في الثالثة، ثم يُنفذها في الرابعة، وبهذا تتحقق غايتها وتنال ما كان بالأمس صعبًا مستحيلاً.!

والرجل الحصيف الحكيم الواعي، هو الذي يلقى هذه الوساوس الشيطانية من أول يوم بالحزم والرفض والوأد، وأن يدرك أن ما طرحته زوجته، لم يكن مجرد فهم خاطئ أو تصور مغلوط، فيصمت عنه، ويتغاضى عن طرحه، وإنما يدرك بيقظة تامة، أنها المحاولة الأولى لاستدراجه إلى حلبة التأثير الشيطانية، التي تريد إخضاعه لعملية غسيل الدماغ، عبر استخدام أسلوب الجرعات المتباعدة، والنوبات المخدرة، دون أن يدري.!

إن المرأة تكون قبيحة جدًا وهي تمارس دور السوسة التي تنخر في عقل زوجها بالسوء، وإن شرًا كبيرًا يدب في الحياة الزوجية، حينما تسيطر عليها غيرةٌ عارمة، تصادف قلبًا لا يعرف الله ولا يتقيه.

يقص أحدهم حكاية زوجته التي تزوجها منذ أكثر من سبع سنوات، وقد كان يحبها ويرغب في تحقيق جميع طلباتها، لكنه كان يشعر بغيرتها الشديدة من "علاقته" بأسرته التي كانت مميزة، فبدأت بعد أسبوع تبدي تذمرها من زياراته الدائمة واليومية لأهله، بل وتمتنع عن الحضور معه في المناسبات الهامة، وربما قامت بترتيب زيارة لمنزل أسرتها في ذات اليوم الذي خصصه لزيارة أسرته، مضيفاً أنه حينما لم تجد سبيلاً لإبعاده عن أسرته أخذت تتواصل مع شقيقاته بشكل ودي وحميم، حتى إنه اعتقد بأنها بدأت تعيد حساباتها وتراجع نفسها في طريقة تعاملها، لكن ذلك التقرب كان بمثابة الفتيل الذي أشعل الحريق، فنشبت خلافات كبيرة في الأسرة بسبب الأحاديث التي كانت تدار عن أفراد الأسرة، والتي كان أبطالها "جلسات النساء"، حتى وصلت المشكلة إلى أشقائه الأكبر عمرًا منه، وأخذوا يطلبون منه أن يمنع شر زوجته عن زوجاتهم

وشقيقاتهم، مشيراً إلى أنه حينما طلب من زوجته أن تقلل من الاحتكاك بهم تفادياً للخلافات، تفاجأ بذهاب زوجته إلى إحدى شقيقاته والتطاول عليها بالضرب، حتى نشب في الأسرة خلاف كبير أدى إلى انقطاعه عن بيت العائلة لأسابيع طويلة، عانى من خلالها من جفاء أشقائه وعدم تواصلهم معه كما في السابق.

هناك أزواج يدركون تمامًا أن سيطرة المرأة عليهم تعد عيبًا كبيرًا، ومن ثم يناهضون ذلك ويجاهدونه بكل ما أتوا من قوة، ولكن أسلوب السحر الذي تستخدمه الزوجة السوسة يجعلهم يتناسون كل شيء، فيقعون فريسة وضحية لما كانوا يخشونه بالأمس، ويعيبون فيه أصحابه، فيضحون وهم صورة قميئة لسيطرة المرأة على الرجل، وضياع هيبته وكلمته في بيته.

الزوج الجاف

أدرك المعاناة الأليمة، والأحاسيس المرة، لهذه الزوجة المسكينة التي تسوقها أقدار الحياة، لتكون من نصيب زوج جاف صلب بارد فاتر، يظن أنه سيد زمانه، وأنه قد أدى كل حقوقه الزوجية، حينما يوفر لزوجته كل ما تشتهيه من ألوان الطعام والشراب، وما تأمله من بيت بهيج وفراش وثير، وما ترجوه من أناقة وشياكة ولباس وزينة! بل يظن أنه قد بالغ في الإكرام والإجلال حينما يهديها ما تتوق إليه من الذهب والفضة، ربما يستطيع فعلا أن يوفر لزوجته كل صور النعيم والرفاهية، ويقدم لها ما يعجز الآخرون عن تقديمه لزوجاتهم، ولكن هل سأل نفسه يومًا: هل قدم لها مشاعر الحب والتقدير؟ هل غمر أحاسيسها بالعواطف الجياشة؟ هل ملأ حياتها بصور العشق والغرام؟ هل منحها من وقته وعطفه ورقته وحنانه؟

للأسف، كثيرون لا يفعلون، ذلك، لأنهم يتخيلون أن المادة هي السعادة، وأن المال وحده صمام الأمان لحياة زوجية سعيدة.! يعتقد هو وأمثاله، أن المال طالما يستقر ويملأ الجيب، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها، وعلى رأسها زوجته التي يظن أن المال يشتري فيها كل شيء، حتى قلبها وأحاسيسها ومشاعرها، ولا يدري المسكين أنه حرم زوجته وأفقدها أهم وأدعى ما تشتهيه في حياتها، وأكثر وأمتن ما تُبنى عليه حياة زوجية سعيدة، وربما لو خُيرت هذه المرأة المحزونة بين أن تفقد كل هذا النعيم بألوانه وصوره، مقابل الأحاسيس والمشاعر، لاختارت الثانية، لأن فيها معنى الحياة الحقيقية.

وليعلم هذا الزوج المتبلد الفاتر، أن هذا القحط في المشاعر، يسوق بيت الزوجية للتصدع والمعاناة المستمرة من المشكلات الزوجية، التي تقود إلى الانفصال والطلاق، بعدما عانت ابتداء من الطلاق العاطفي والانفصال الروحي.!

ربما تحب زوجتك وتكن لها تعظيمًا كبيرًا في نفسك، ولكن مبتلى بداء الصمت والحياء وفتور الحماسة عن النطق بألفاظ المحبة، فما الذي يدفعك إذن للصمت وكبت هذا الشعور داخلك؟ لابد أن تدرب نفسك على التفوه بكلمات الحب العاطفية الملهبة، التي تثير بها هذا القلب الذي لا تأسره غير العاطفة ومشاعر الحب والهيام.! ولو أن صمتك ساد واستمر خرسك، فإنه يعني أنك تترك السعادة تموت في بيتك، ومساحة الود والتفاهم بينك وبين زوجتك في طريقها للانهيار الحقيقي، لأنكما فقدتما أساس التوافق والشراكة في الميول والتصورات والآراء التي تخلقها الوحدة العاطفية.

أسرع رضي الله عنك إن كنت جافًا لتعالج نفسك وتوقظها من غفلتها قبل أن تخسر قلب زوجتك، لا تنتظر منها مبادرة، ولا أن تبدأ هي خطوتها، الأولى، وإنما أنت وحدك القادر على أن تقلب الموازين، حتى وإن كانت بينكما جفوة، فإن كلمات الحب كفيلة بما لديها من سحر أخاذ، أن تزيح من طريقكما كل كبوة وكل شائكة عارضة، ويمكن لها أن تدمر ركامًا كبيرًا من العقابيل والمشكلات، لتحل محلها دوحة آسرة بالزهور والحبور والعطر الفواح.

اهمس في أذنها دومًا بكلمات الحب، قل لها: أنت زهرة عمري أنت رحيق حياتي، احتضنها كلما رحت أو جئت، قبل جبينها وخديها باستمرار، اربت على

كتفها، تناول يديها برفق ورقة، ارمها دومًا بنظرات المحبة الخالصة، التي تشع إعجابًا وهيامًا، كن واثقًا تمامًا أنك بهذه الأعمال ستملك قلبها وتأسر مشاعرها، وتجعل من نفسك سلطانا مالكًا لعواطفها وأشجانها.

إن بعض الأزواج قد تربوا في محيط غبي متخلف، ظل أسيرًا للتقاليد والعادات السلبية التي لا يأمر بها دين، ولا يحض عليها منطق، أو تحث عليها إنسانية، حينما يعدون النطق بكلمات الحب عيب، وقلة أدب، ومسخرة وانحلال، وقد أصيبت بهذا كثير من البيوت، وكثير من مجتمعاتنا الشرقية، فمعنى أن يقول الزوج لزوجته أنت روحي وحياتي وحبي وعشقي، أنه مائع ومايص وماسخ ومنحل وليس رجلا.! ويكبر الأبناء والبنات، ولم يروا أبويهما يتبادلان ولو مرة، كلمات تحمل بصيصًا من العاطفة، فينشؤون وقد ورثوا الجمود والجفوة، بدعوة أنها التربية المحترمة والبيوت المهذبة والأدب الكامل، وهي في حقيقتها بيوت رجعية متخلفة، ومجتمعات جاهلة ضالة، تهدم سر السعادة في الحياة.! ومن واجب الام توعية فتاتها بهذا الدور، والانسجام معه، وتأهيل بيئته، وكذلك ينصح الولد إن أقبل على الزواج أن يؤهل علاقته ويزينها بكل تلك الأمور.

وإذا كان الزوج بداخله بركان عاطفي لا يستطيع التعبير عنه، فليكن هنا دورك المنوط في تحريك هذا الجمود، وإذابة الجليد العاطفي، علميه كيف يحاول أن يستخرج ما بداخله، دربيه على كلمات الحب، حركي سواكنه لينطق هذا اللسان المتجمد، حاولي بكل السبل.! اخنقي كل المشكلات التي تُثير غضبه وكرهه، ولا تنسي وأنتِ تحركيه باللسان ومعسول الكلام، أن تحركية بالزينة

والهندام الجميل، والشعر المهذب، والوجه المشرق المنمق، فإذا لم يحركه الكلام، حركة زلزال الجمال.

سُئل الأصمعي عن امرأة تحمل بيدها مسبحة تسبح الله وتذكره، وفي الأخرى تحمل ميلا تكحل به عينيها، ولما سئل عن ذلك وكيف توفق بين هذا وذاك وهي تقول:

ولله مني جانب لا أضيعه ** وللهو مني والبطالة جانبُ

فلما سئل الأصمعي عنها دون أن يراها ويعرفها قال: "امرأة صالحة تتزين لزوجها" أي أنها تطيع الله سبحانه بذكره وتطيع زوجها بتزينها له.

وليس معنى قولي بإحياء مظاهر الحب وكلماته، أن يتصنع المرء فوق طاقته، ويختلق حبًا زائفًا يجامل به زوجته، لأنه حتمًا قصير وقته ومكشوف زيفه، وإنما نقصد بالحب هنا، هو الحب الحقيقي الذي يُجبرك على خوض غماره حينما تعلم أن مستقبل الزوجية وسعادتها مرهون به، ربما يدعي بعضهم أن مشاغل الحياة أخذته والأعمال والشركات خطفته، ولا يتفرغ لمثل هذه الترهات من وجهة نظره، نعم من حقك أن تعمل وتَغَنَى وتكثر، لكن يجب أن تعلم، أن المقابل أمام كل هذا، إنما هو خسران زوجتك حينما فرطت في حقها، وفضلت عليها الأعمال والمال والشركات، وجعلتها أولى الأولويات.!

وهنا لا تلمها يا أخي إن تركتك وتوجهت لغيرك، لأنك في حياتها كالجماد لا ينبض قلبك بشيء، ربما تكون فارسًا مغوارًا في ممارسة الشهوة، وبارعًا في عملية الإرواء الجنسي، شديد العضلات في إيصال ما تريد، ولكنها أنانية

تُمارسها كما يمارسها البهائم، مجردة من كل معاني الحب الدافق، والاستيعاب الكامل لكل دوافع الروح والجسد.

لا أستطيع ولا أتصور أن تغيب مثل هذه المعاني، عن زوج حصيف يمتلك عقلًا وحكمة ووعيًا بمعنى كلمة إنسان! كما لا أستسيغ أبدًا أن تأتي زوجية في يوم من الأيام، تنهمر دموعها على خديها تشتكي من زوج معدوم المشاعر جاف الأحاسيس.!

ربما لزوجتك حقوق كثيرة، لكن حقها الأول أن تحبها بصدق، وتشعرها بحنانك الفياض، وتملأ عليها الوجود بكلمة أحبكِ، وتُشعل دنياها بلهيب العواطف الذي لا تخمد جذوته ولا يهمد أواره، وما قلناه للزوج نقوله للمرأة التي جفت أنوثتها ومشاعرها، فتركت أشجار الحب تذبل وتنتهي، ولعل الرجل ربما يكون في الحياة ما جعله كذلك، أما المرأة فداهية كبيرة لو كان بها هذا الداء، لأنه يخالف طبيعتها التي تتطلب الرقة والمشاعر المتقدة، والأحاسيس الحاضرة.

أيها الزوجان، إن الحياة مليئة بالفتن والمنغصات والشواغل التي تهدم معاني الحب والتقدير والاحترام وتلهي عن الشعور بهذا الإحساس الجميل، فكونا على يقظة واعية، ولا تسمحان لأي مشكلة أو نازلة، أن تهدم ما بينكما من رباط المحبة والود والعشق الجميل.

الزوج المعقد

خلفة الفتاة تجلب الرزق والإيمان والتفاؤل، بل تجلب الجنة والنعيم كما أخبر المعصوم صلى الله عليه وسلم، وهذا المفهوم هو الذي حاول الإسلام أن يؤصله حينما كانت الجاهلية تمتهن المرأة ويتخيل الإنسان أنه غرق في عالم من العار والشرور، حينما يبتلى بإنجاب الفتاة.!

قد يظن بعضهم أن الراحة والمستقبل والغنى والقبيلة والعزوة، مرهون بإنجاب الولد، لكن كثيرًا من الرجال خانتهم ظنونهم في الحياة، حينما أهملهم صبيانهم الذكور، ولم يراعِهم في كِبرهم ومرضهم، إلا ما أنجبوه من فتيات شملنهم بالرعاية والحنان والعطف الكبير،

ومن وجهة نظري ومن خلال التجربة والمعاينة الحياتية، أقول: إن الشيء المعيب في حياة الأنثى، والذي ينغص حياة الوالد من إنجابه لها، حينما تكبر وترتبط بزوج مُعقد ومصاب بوابل من عقد النقص المركب.

أعرف في الحياة زوجًا يمتلك كثيرًا من عقد النقص الحادة المزمنة، ساقته الأقدار ودخل كلية الطب بالوساطة والمحسوبية، ولأنه من بيئة فقيرة متدنية منحطة، ظن إخوته ومن حوله، أنه صار شيئًا عظيمًا، أعظم من الملوك والأمراء، وأعظم من رئيس الجمهورية، وأعظم من كل من اتسم يومًا بأنه عظيم وكبير، قديمًا وحديثًا، وكانوا يلقبونه بالباشا، يقولون له صباح مساء (دا انتا باشا، دنتا دكتور) لم يكن ليشعروه بالغرور فقط، وإنما كانوا كل يوم يضعون له الغرور في أكواب ليتجرعها، وتحول كما يقول المثل العامي (ليمونه

في بلد قرفانه) وصدق الفتى نفسه، وظن فعلا أنه عظيم وأعظم من الباشا، الذي يتحدث عنه أهله وإخوته، ويضربون له به المثل كثيرًا، مع كل لفظ وكل وقت، ولما جاء ليخطب فتاة، قال له إخواته: دنتا لو تقدمت لبنت الباشا لرضيت بك، دانتا باشا.

المهم أنه تزوج نفس الفتاة بعدما رفضه أبوها مرة، ولكن بعد إلحاح وإصرار ومحايلة، قبل أبوها به، ولما دخل هذه الأسرة الجديدة، وجد حماه رجلا متعلمًا وعقلانيًا وهادئًا، ووجد أمرًا لم يكن متعودًا عليه، وهو أنه لا يقول مثل إخوته: (ياباشا)، كما وجد إخوة زوجه متعلمون، فمنهم الطبيب والضابط، ولم يجد أحدًا يقول له: (ياباشا)، ولكن كل هذا غير مهم، وإنما المهم أن يقولوا له يا (باشا)، لابد لهم أن يحقنوه كل يوم حقنة الغرور التي اعتاد عليها، وبها يتأهل ليحيا طبيعيًا بين الناس! ولو غابت عنه هذه الحقنة، لتحولت حياته شرًا على كل من حوله، وهو ما حدث بالفعل، حينما أخذ يُعادي أصهاره الجدد، ويكرههم ويبغضهم، لأنهم منعوا عنه هذه الحقنة ولم يعطوها إياه، فلا يعظمونه، ولا يقولون له يا باشا، ولا ينعتونه بأنه عظيم وصاحب مقام كبير، أكبر من رئيس الجمهورية، أو الملك والمير!

ونشأت حالة من النفور والصدام والخصام، لأن هذه الأسرة ترى أن شهادة ومهنة الطبيب شهادة جيدة ومحترمة، لكنها في الإطار العادي غير المعجز، فلا يكلفونها فوق طاقتها، كما أنهم كانوا واقعيين حينما كانوا يعرفون أن الأطباء بالكوم، وماليين الدنيا، المهم أنها مهنة محترمة، ويقدر الجمهور أصحابها، لكن ليس إلى هذا الحد المغالي الذي يوصلها برتبة أعلى من رتبة الملوك والأمراء

والباشاوات وحتى الأنبياء، كما حدث لصاحبنا من أسرته الجاهلة الفقيرة المحرومة الناقصة المتعطشة للمظاهر والجاه الدنيوي والأكاذيب الدنيوية.

وعلى مدار سنين طويلة لهذا الزوج المعقد، ارتكب فيها كل السفالات التي تنم عن أصل حقير، وأظهر فيها تجاه أصهاره كل ما تذخر به نفسه من عقد النقص المركب، حتى أنه حرض الفتاة على أهلها وسلطها عليهم لتؤرق حياتهم وعيشهم، وصور لها أنهم فرطوا في حقوقها، وقصروا معها وظلموها، وطلب منها أن تطلب ميراثها من والدها وهو على قيد الحياة، وصور لها أن إخوتها لا يستحقون أن يوصفوا بأنهم رجال، لأنهم حينما يزورونها ويدخلون عليها لا يحملون (أُفف) الفطير المشلتت والوز والبط، بل وصلت به الوقاحة يوما أن يقول لها: إن أباك يسلم علي وهو جالس، وكان يفتعل المشكلات ويختلق الأكاذيب، ويطوف على أقرباء أصهاره ليشوه سمعتهم بالزور والبهتان، ويختلق عليهم الأكاذيب، وكان يعرف من زوجته من هم أعداء أسرتها، وخصوم أبيها، فيذهب إليهم ويقص عليهم قصصًا من الكذب والزيف ليشمت فيهم من يبغضونهم .فعل الكثير والكثير من الأفعال المنحطة السافلة، التي تنم عن أصل وضيع،

ولعلنا هنا وأمام هذا المشهد المؤرق، لا نلوم ذلك الذي يتخوف من إنجاب الفتيات لأنهن جلبن العار كما كانوا يعتقدون قديمًا، وإنما يجلبن التعب والنصب والشقاء، حينما يرتبطن بزوج معقد، أعاذنا الله وأبناءنا من هذه الأصناف التعيسة.

أيها الزوج، كن كاذبًا

ربما تكون أيها الزوج من أولئك الذين يسلكون في حياتهم مسالك الجد، ويحبون أن يتعاملوا مع الخلائق فيها بالصراحة والوضوح، وتزعم أنك صاحب مبادئ تتمسك بها، ولا تقبل أن ترى نفسك بغيرها، فأنت لا تعرف الغش ولا النفاق ولا المجاملة والمراوغة! ولا تقبل الخداع تحت أي ظرف وبأي لون! لأنك كما ذكرت واضح وصريح، وتظل على هذا السبيل، حتى لو أدى بك إلى صدام عنيف بينك وبين الناس، الذين لا تسير دنياهم اليوم إلا على كثير من الغش والكذب والخداع والمراوغة والمجاملات الزائفة.!

ولكني أخبرك أن الحياة بهذا الانضباط، لا تستقيم في بعض المواطن، فكثير من المواقف تستلزم منك أن تتخلى عن بعض ما تتمسك به من الصرامة والجدية والصراحة والوضوح، لتكون مجاملًا مراوغًا، وأحيانًا كاذبًا ومخادعًا، كما أني أرجوك ابتداء، أن لا تظن عبر هذه السطور، أنني أقدم لك دعوة للنفاق، أو أحلل لك الغش والخداع، أو أدعوك لتكون إنسانا أفاكًا كاذبًا لا مبادئ له ولا قيم.!

لا تظن ذلك، ولا تظلمني بذلك، إنما فقط أردت أن أقول لك: إن الحياة مليئة بالمواطن التي لابد أن تُقابلها ببعض اللين وبعض التنازلات، التي تضمن المصلحة وتجلب الأمان والاستمرار لسعادتك وحياتك، فمثلا، ماذا تقول لي لو حدث صدام بينك وبين زوجتك، وكان السبيل مجاملتها بكلمة رقيقة، والتحايل عليا بلفظة حانية، وخداعها ببعض الجمل التي تستحضر عواطفها وتُطفئ

غضبها، هل تظل هنا متمسكًا بمنهجك الحياتي، الذي يقوم على الصراحة والوضوح كما تدعي؟ وهل ستقول لي الآن: إنك لا تقبل الخداع والغش، وترفض المراوغة ولا تعبر إلا بما يجيش في صدرك ويحمله ظنك؟ إنك إن قلت هذا، فلا شك أنك غير حكيم، وغير صائب، ولا تعي كيف تعيش في أمان وسلام؟ بل لا تعي كيف تجلب السعادة لحياتك وبيتك وزوجتك رفيقة دربك؟!

انظر عزيزي الزوج، أرأيت إلى الكذب، تلك الخصلة الخسيسة الدنيئة، لقد أباحها الإسلام في بعض المواطن حتى يمنع الضرر، ويجلب الخير والسعادة، ويحافظ على الحياة، ولم يكن ديننا فيها جامدًا مأفونًا صُلبًا، ولم يجهر حيالها بدعاوى الذين لا يفقهون وهم يقولون بلا وعي: إن المبادئ لا تتجزأ!

روى الترمذي عن (أسماء بنت يزيد) قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس ما يحملكم أن تتابعوا على الكذب كتتابع الفراش في النار، الكذب كله على ابن آدم حرام إلا في ثلاث خصال: رجل كذب على امرأته ليرضيها، ورجل كذب في الحرب فإن الحرب خدعة، ورجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما"[1] نعم هذا هو الكذب الذي قال فيه نبينا حينما سئل عنه: يا رسول الله، المؤمن يكون جبانا؟ قال: نعم، قيل: يكون بخيلاً؟ قال: نعم، قيل: يكون كذابا؟ قال: لا.

نعم سيدي الزوج هنا، وأمام الزوجة، وفي حالة الصدام، يجوز لك الكذب، ويجوز لك الخداع، ويجوز لك المكر، وتجوز لك المراوغة! حتى لا تخسرها وتُثير عضبها وكُرهها، حتى تحافظ على حبها ووفائها، وتُبقي على الود

---

[1]- رواه الترمذي

بينك وبينها، ولعل هذا من تقديس الإسلام البالغ للحياة الزوجية، وحفاظه على رباطها، والعناية الكبرى بمشاعر المرأة وعواطفها، وبِره الكبير بوجدانها وأحاسيسها.!

يقول الشاعر العربي الحكيم:

ومن لم يصانع في أمورٍ كثيرةٍ** يُضَرّس بأنيابٍ ويوطأ بمنسم

أي ومن لم يجار الناس في كثير من الأمور، على الرغم من عدم موافقته واقتناعه بها، فإنه حتماً سيمزق بأنيابهم، ويداس تحت أقدامهم.

ثم انظر إلى هذا الصحابي الذي كذب على زوجته، حتى يسكن غضبها ويزيل ألم نفسها، لقد أزال بغير الحقيقة ثورة نفس عارمة، كانت قادرة لا على هدم بيت الزوجية فحسب، وإنما كانت لديها حماسة وعزم أكيد لإراقة الدماء، وقتل الزوج نفسه، انتصارًا لهذا الغضب وشفاءً لفورانه، ففي الأثر الذي جاء في حياة الصحابة: أن (عبد الله بن رواحة) رضي الله عنه، كان مضطجعًا إلى جنب امرأته فلم تجده في مضجعه، فقامت فخرجت فرأَته على جاريته، فرجعت إلى البيت فأخذت الشَّفرة ثم خرجت وفرغ فقام فلقيها تحمل الشَّفرة فقال: مَهيَم قالت: لو أَدركُتك حيث رأَيُتك لَوَجَأت بين كتفيك بهذه اُلشفرة قال: وأَين رأَيتِني؟ قالت: رأَيتك عَلَى الجارية قال: ما رأيتني وقد نهانا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أَن يقرأَ أَحدُنا القرآن وهو جُنُبٌ قالت: فاقرأ

فقال: أَتانا رسول الله يتلو كتابَه

كما لاح مشهورٌ من الفجر ساطُع

أَتى بالهدى بعد العمى فقلوبُنا

به مُوقِنَاتٌ أَن ما قال واقع

يبيت يجافي جنبه عن فراشه

إِذا استَثَقلَت بالمشركين المضاجع

فقالت: آمنت بالله وكذّبت بصري، ثم غدا عَلَى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأَخبره فضحك حتى بدت نواجذُه.. نعم ضحك رسول الله ولم يستنكر ذلك أو ينهى عنه.

وهكذا أخي الزوج، تسلم وتسلم حياتك وتنجو ببيتك وزوجتك وأسرتك، من كثير من العواصف التي تهدم وتدمر، وتشتت وتفتك بسعادة الكثيرين، لأنهم لم يكونوا حكماء واعين حصيفين، تصلبوا في مواقفهم وتمسكوا وهمًا بما ظنوا أنها مبادئ وقيم، ووضوح وصراحة وجدية وانضباطًا، فجلبوا لأنفسهم شقاء العيش وهم الحياة ونكد الأيام.!

ربما يكون في زوجتك بعض العيوب، ولكن بها كثير من المحاسن، فليس من الحصافة وتحت دعوى الصراحة، والتغني بأنك لا تجامل ولا تكذب، أن تذكرها دومًا بعلتها ودائها، لتقهرها وتقتل سعادتها، صانعها وجاملها وتغاضى عن سلبياتها، وذكرها دومًا وخاصة لحظة الصدام، أنه لا مثيل لها في دنيا النساء بأخلاقها وطباعها ومالها.

أيها الزوج، كن كما نقول بالعامية: فهلويًا، تعرف كيف تأكل عقل زوجتك وتضحك عليها، وتمتص غضبها، حينما يكون هناك ما يستدعي ثورتها عليك، فهل وعيت الدرس؟

تحدثت بعضهن بأنها ترفض هذا الكلام، وأنها ليست من أنصاره، فهي لا تقبل إلا أن يخبرها زوجها بالصراحة، حتى وإن كانت جارحة لكن، لابد أن تكون صادقة فهذا أفضل لديها من أن يُصانعها بحجج غير حقيقية، ولكني أقول لها: صدقيني، إن وقت العاصفة والثورة الهائجة التي تهدد رباط الزوجية، يكون كلا الطرفين وقتها، بحاجة ماسة لسحابة من الكذب تظلل من وهج الغضب المحرق.

الهروب من المسؤولية!

حينما لا تستطيع المرأة أن تتحمل المسؤولية، ولا تقوى على مواجهة كثير من المواقف، والصمود في وجه الأزمات، فإن هذا لا يعيبها، ولا تتهم فيه بأي تقصير، ولا يكون شيئًا مُنفرًا منها، لأن طبيعتها لا تفرض عليها شيئًا من هذا ولا تلزمها به، لكن المصيبة الحقيقية، حينما تتزوج المرأة من زوج جبان هراب اتكالي خواف، لا يقوى على تحمل المسؤوليات أو التصدي للأزمات، أو مواجهة المشكلات، لا يُتقن غير الهروب والفرار من كل تكليف والتزام، حتى لو تهجم أحدهم على بيته، لربما تركه له وهرب دون أي حراك أو مواجهة،

كذلك يجد صعوبة كبيرة في شراء لوازم البيت، والقيام بحاجة الأسرة من طعام ومشاوير، وتوصيل للمدارس، ودفع فواتير، وغير ذلك من المصالح البسيطة، لأنه يعاني من فوبيًا تحمل المسؤولية، ويُصيبه شلل تام في جسده وتفكيره، حينما يقف أو يُوضع أمام مشكلة من المشكلات، وطُولب منه التعامل معها.

ولا يخفى أبدًا عن توقعنا واستنتاجنا، أن هذا الزوج كان ضحية أسرة، ووالدين قصرا أو أخطآ في طريقة التربية، فحجباه عن الحياة والأحياء، وكانت جنايتهما الكبرى عليه حينما خرجاه للدنيا بهذه الصورة الجبانة المستهترة.

وبعضهم خرج فوجد والدته تقوم عنه بكل شيء، وتُوفر له كل شيء، وتتولى كل أموره في الصغيرة والكبيرة، فلما خرج للدنيا، ظن أن هذه وظيفة

المرأة، وأنها منوطة بفعل كل شيء، وأن لها حق القوامة والمسؤولية، وتحمل كل مشاق الحياة عنه، وبدأ يُطبق ما كان يراه في أمه على زوجته.

وإذا كان الأولى بهذه الوالدة أن تدفع به إلى الخطوب، وتدربه على المشاق، وتُحمله المسؤوليات، وتزج به في أتون الحياة، ومعترك الأيام، حتى يتعلم منها ومن دروسها وعبرها، ويخرج رجلاً لا يستطيع تحمل شأن أسرة فحسب، وإنما يقود أمةً، ويتزعم شعبًا، ويوجه وطنًا بأكمله.!

إن صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها، كانت تعلم ولدها الزبير معاملة خشنة وتضربه، وترمي به في كل معضلة، وتحشره حشرًا في كل أزمة، فلما رآها أحدهم قال لها: إنك تضربينه ضرب مُبغضة! فقالت:

من قال أبغضه فقد كذب

إنما أضربه لكي يلب

ويهزم الجيش ويأتي بالسلب.!

لا شك أن الزوجة التي تبتلى بمثل هذا النموذج، ستلقى عنتا كبيرًا في الحياة، لأنها ستتحمل أعباء فوق أعبائها، وسيطلب منها أن تقوم بأدوار أضعاف دورها، لأنها ستكون الأم والزوجة والزوج في آن واحد، ستطالب بوظيفة هذا الزوج الجبان الاتكالي الهراب، لتقوم عنه بكل ما لا يستطيع مواجهته وإنجازه.

ومن الخطأ الكبير أن تستسلم بعض الزوجات في أول الطريق ويبأسن من العيش مع هذا الزوج الجبان الهراب من تحمل المسؤولية، ويطلبن الطلاق والانفصال، ولا يفكرن في الموضوع بصورة جدية، أو يبحثن عن طرق العلاج،

من خلال الاستعانة بمتخصصين، على المرأة أن تتحلى بالصبر، وتقاوم هذه السلبية الخطيرة في زوجها، وتحاول علاجها حتى يتحول إلى زوج مسؤول يحتوي بيته وأسرته، نعم لابد من الصبر والحكمة، لأنها تعيد صياغة إنسان جديد، وتُعيد ترتيبه بصورة جديدة، وتحاول إخراجه من صفات جُبل وتربى عليها، وهو أمر شاق ومجهد، ولكنها محاولات تُتيحها لنا الظروف، لننجو من هدم البيت واللجوء للفراق والانفصال والطلاق.

وبعض الخبراء يُعطي بعض التطبيقات العلاجية التي تشرع فيها الزوجة، لتنتشل زوجها من هذه الانهزامية، ومنها :-

١- إشعاره بالمسؤولية حين تُشعريه باحتياجك له، ومهما قابلك من إعراض كرري المحاولة مرة تلو أخرى، حتى يشعر باحتياجك الكبير لدوره ووجوده.

٢- أشركيه في المشكلات الحياتية، ولا تظني أنكِ تكفيه ألام الحياة وتريحينه من تعبها حينما تتحملين عنه أكثرها، وتظنين أنك بارة رشيدة، فأنت بهذا تزيدين من عمق المشكلة، وتخلقين منه زوجا عديم المسؤولية لا يبالي بمن حوله ولا يفكر الا في نفسه.

٣- لا تنفردي بحل المشكلات بعيدًا عنه، ولابد أن تشركيه فيها ليعتاد على ذلك، ويجد نفسه مجبرًا على التفكير وإيجاد الحلول لكثير من الأزمات.

٤- البدء معه بتكليفه ببعض المهمات اليسيرة، حتى تكون بداية لاجتراره للمهمات الكبيرة، التي يألفها ويألف التعامل معها

٥- أخبريه بسعادتك الكبيرة، حينما يقدم طرحًا أو اقتراحًا لمشكلة من المشكلات، أو حينما يتصدى لأزمة من الأزمات، فسعادتك التي سيشعر بها، ستمثل له دافعًا قويًا وتحفيزًا نحو المزيد من تحمل المسؤوليات.

حكت لي زوجة انفصلت عن زوجها الاتكالي الجبان، الذي كان يخاف من كل المسؤوليات، أنها يومًا كانت تقود سيارتها في الطرق وسط القاهرة، وزوجها بجوارها، وفجأة تعطلت السيارة، فلم يستطع فعل أي شيء أو التصرف لإنقاذ الموقف، وإذا به يهرب ويتركها في الطريق مع سيارتها ويذهب للبيت.

وسمعت مرة أن زوجين حديثا الزواج، طلبت الزوجة من زوجها أن يخرج للتسوق وجلب الطعام، فما كان منه، إلا أن خرج وتركها وحدها في بيت الزوجية، وذهب لينام في بيت أمه هربًا من هذه المسؤولية.

وتقول أخرى: اكتشفت بعد الزواج أن زوجي عديم الفائدة ضعيف الشخصية في التعامل مع متطلبات الحياة الزوجية، وتعود على ترك كل أمور المنزل لي، وعدم استعداده لعمل أي شيء، ونشأته مدللاً ووحيداً في بيت أهله، وعدم اعتماده على اتخاذ أي قرار في حياته وقيام أمه بكل احتياجاته، كل هذه الأسباب جعلت منه اتكالياً بدرجة أولى،

حاولت أن أصلح الأمور وأكلفه ببعض التكليفات، ولكنه كان يتقاعس عن الأداء في كل مرة، حتى أصبح عليّ القيام بدور الرجل والمرأة في البيت، وحتى الآن ما زال الوضع على ما هو عليه، لا يشعر بالغيرة حين أقوم بعمل بكل شيء للبيت وللأطفال.

إن المساعدة الحياتية من الزوج لزوجته، جديرة بأن تخلق أجواءً من الحب والمودة بينهما، وتُضفي علي البيت نسائم السعادة، وقد قالت عائشة رضي الله عنها: عندما سئلت ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته؟ قالت: «كان يكون في مهنة أهله [تعني خدمة أهله] فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»[1] وفي حديث آخر قالت: «كان بشرًا من البشر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه»[2]

كما أن هذا التعاون نوع من الإشعار بالشفقة على الزوجة، وتقديم العون لها، وتقدير جهدها وخدمتها للبيت والأولاد، وكنت أتعجب من أحد أصدقائي حين يذهب بكل ملابسة للمغسلة فلما سألته: وأين زوجتك؟ لماذا لا تغسل لك ثيابك؟ فرد قائلًا: كتر خيرها، ربنا يعينها على تربية الأولاد، لا أريد أن أشغلها بهمي أنا الآخر.!

١- رواه البخاري

٢ - السلسلة الصحيحة:٦٧١

الزوج الحاقد

كم أُكبر هذا الزوجُ الذي يسعى لرقي زوجته، ويسعد كلما تقدمت في دراستها وشهاداتها العلمية، لتكون أكثر ثقافة ورقيًا ووعيًا وتحضرًا، أسعد بهذا الزوج الذي يعرض مكتبته على زوجته، ويفتح لها خزانة معارفه، ويشجعها على القراءة، ويصحبها للمكتبات، ويشتري لها ما تشتهيه من المصنفات، ويدفعها دفعًا قويًا لما تنشده من طموح واعد ومستقبل مشرق.

أسعد به حينما يفعل ذلك، خاصة وهو يعلم أنها ستكون أرفع منه وأكبر في الشهادة والتقدير العلمي، والمستوى الدراسي.! وهو شيء يدل على أنه إنسان سَوِى معتدل راقي واع متحضر، يتمتع بالسلامة النفسية، ويفهم جيدًا أن الزوجة المتعلمة المثقفة، لن يكون تقدمها العقلي والمعرفي إلا تقدمًا إيجابيًا في حياته الزوجية، التي ترقى وتسعد كلما ارتقى عقل هذه الزوجة، التي مهد لها الطريق وساعدها لتثبت ذاتها.

وبعيدًا عن هذا النموذج المبهج من الأزواج، نأتي للمصيبة والبلاء الذي نجده في زوج يغار من زوجته ويحقد عليها ويغلي ويهدر، حينما يجدها أرقى منه تعليمًا، أو أرفع منه منصبًا، أو أعلى منه ثقافة وأزكى معرفة ووعيًا، فبعضهم تزوج فتاة في منتصف تعليمها الجامعي، فأوقفها عن استكمال مسيرتها لأنه لا يريد لها أن تحصل على تعليم يجعلها ندًا له ومضاهية لمستواه في نفس مرتبته.

وبعضهم حصلت زوجته على درجة الدكتوراه، فحول حياتها إلى جحيمٍ مستعرٍ، وجعلها تلعن كل يوم، تلك اللحظة التي حصلت فيها عليها.! وبعضهم

كان يسب زوجته وينهرها بأقزع الألفاظ، كلما وجدها تقرأ كتابًا، أو تتلمس فيه سُبل المعرفة، لأنه حصل على تعليم متوسط بينما هي جامعية.!

إنه يؤمن تمامًا أن وراء كل عظيم امرأة، أما أن يكون العكس فلا وألف لا!

تذكر إحداهن فتقول: منذ ثماني عشرة سنة، كنت أشق طريقي لإنهاء دراستي بكل صعوبة، خاصة أنني تزوجت بالمرحلة المتوسطة من ابن عمي، وهو جاهل حتى بالقراءة والكتابة، لا يحب رؤية كتابٍ بين يدي، ويغضب كثيرًا من ذلك، ألزمه والدي واشترط عليه إتمام تعليمي بعقد القران، وكنت أحمل أبنائي من الصباح إلى منزل أهلي سيرًا على الأقدام، ومن ثم أواصل مسيرتي إلى المدرسة، وأعود لأقوم بأعباء منزلي وأطفالي، فأعمل جاهدة حتى لا أشعره بانشغالي عنه، فلم أقصر في حقه، وبرغم ذلك، كان يتضايق من رؤيتي وأنا أقرأ لوالدته أو والده "وصفة الدواء"، ودائمًا ما يُصر على عمل ولائم وأنا في فترة الاختبارات، ولم أرض بغير التفوق، لقد وضع زوجي كثيرًا من العقبات في طريقي، ولكني اجتزتها بلا مشكلات بيني وبينه، وبعد تعب السنين وفي سنتي الأخيرة من الجامعة، افتعل مشكلة كبيرة، وخيرني بين أبنائي وإتمام تعليمي، إنه قرار مصيري اتخذته ضد نفسي وطموحي.

وتحكي زوجة أخرى معاناتها مع زوجها فتقول: "لم أكن قد تخرجت بعد من كلية الطب عندما تزوجت، ودعمني زوجي وشجّعني ووفر لي كل وسائل الراحة، واستقدم حاضنة للأطفال كي أتفرغ لمتابعة الدراسة، كذلك سعى الى أن أشتغل في وظيفة جيدة بعدها، إلى أن أصبحت طبيبة، ومنذ عامين أنشأت

عيادتي الخاصة، وبدأ دخلي يزداد، فبدأت المشكلات بيني وبينه حيث تذرع في البداية بأنه لا يمكنني أن أصرف على خصوصياتي أو المنزل من راتبي، معتبرًا ذلك انتقاصًا لرجولته كونه رب العائلة، فامتثلت للأمر كي أتفادى الخلافات، لكن بعد مدة، تبيّن أن هذا الأمر لم يكن سوى ذريعة، ليخفي وراءها عدم تقبله أن يتجاوز راتبي راتبه". تلك الطبيبة اليوم وضعت تحت أمر واقع وتجد نفسها مجبرة على الاختيار بين عملها أو عائلتها وزوجها وأولادها! فماذا تراها ستختار؟

وتقول ثالثة: بعد أن حسمت خيارها بترك العمل والبقاء قرب عائلتها وزوجها بعد مشاحنات متكررة بينها وبينه بسبب عملها، فقد عُيّنت مديرة في أحد الأقسام التي يعمل فيها زوجها كمراقب في أحد مراكز التسوّق، لأنها تتقن اللغة الانكليزية ما يفتقر إليه الزوج الذي يرفض أن يعترف بأنه يغار من زوجته.

وفي حالة فريدة وطريفة، لاحظت سعاد على زوجها انطواءً لم تعهده به، فهو المحب للهو والمرح والخروج مع الأصدقاء، "أخذ يعزل نفسه عن التجمعات واللقاءات، لا سيما تلك التي تجمعنا معًا بالأصحاب"، ففي البداية كان يتذرع بضغط العمل والتعب، لكن عندما بدا لها ذلك غير مألوف، حاولت استقصاء الموضوع بطريقة حكيمة لاستجلاء ماذا يجول في خاطر الزوج الذي بات كئيباً ومحبطاً. تقول: "بدأت أتقرب منه أكثر وعندما أجده سارحًا بتفكيره، أحاول استكشاف ما يشغل باله، الى أن وقفت بعد محاولات شاقة ومضنية على حقيقة الأمر: زوجي يغار مني ولا يتكلم كي لا يبدو سطحيًا وساذجًا، اعترف لي أخيرًا أنه يغار من كوني متحدثة جيدة أمام الناس، وأستقطب محاور الحديث،

الأمر الذي يفتقر إليه ما جعله يشعر بالنقص، لكن حبّه لي وكبرياءه منعاه من البوح بذلك، كي لا أستخف به، ولم أفعل رغم علمي بذلك، بل على العكس تفهمته، وجعلته يشعر بأن كلاً منا لديه مميّزات، وبعض الصفات الرائعة التي يمتلكها هو تنقصني وليست موجودة لدي، ما جعل الأمور تستقيم ويعود إلى سابق عهده".

وهكذا تجني الزوجة كثيرًا من البلاء والتعاسة والشقاء، حينما ترتبط بزوج ناقص مصاب بالعقد النفسية التي تؤجج الغيرة في نفسه المريضة.. وبرغم ما يعكسه رقي المرأة على الحياة الزوجية من سعادة وتقدم وتطور، إلا أن الحقد العاصف في نفس الزوج المعقد، الذي يعج بخلايا النقص المركب، يغفل عن كل هذا، ولا يُبصر مثل هذا، لأن الحقد يُعمي ويحطم كل خير ونعمة وبركة.!

وفي هذا المجال اكتشف بعض علماء السويد، أن عمر الرجل مرتبط بالمستوى التعليمي لزوجته، وتبين لهم بعد أبحاث عديدة، أن الرجل المتزوج من امرأة حققت مستوى أفضل وأعلى من التعليم، يعيش أطول من الرجل المتزوج من امرأة نالت قسطاً أقل منه بنسبة (٢٥%)، وذكرت الدراسة التي شملت حوالي ١,٥ مليون سويدي تتراوح أعمارهم ما بين ٣٠ و٥٩ عامًا، أن المرأة المتعلمة، بإمكانها فهم المشكلات الصحية التي تحتاجها عائلتها أكثر من نظيرتها الأقل تعليماً، وأضافت الدراسة التي نشرتها «مجلة علم الأوبئة والرعاية الصحية في المجتمع»، إلى أن الوضعين التعليمي والاجتماعي للمرأة، من العوامل الأساسية لبقاء الرجل حيًا لفترة أطول، حيث تأثيرها على معدل الوفيات وبشكل مباشر على المهنة والأجور، مضيفين أن للتعليم تأثيرًا غير مباشر على اختيار الشخص للشريك الآخر.!

الزوج الفضّاح!

تُتهم النساء غالبا بأنهن يتحدثن كثيرًا، ويتكلمون كثيرًا، ويتعرضن لكشف بعض أسرار الحياة الزوجية، لكن ماذا نقول لو كان هذا العيب ديدنًا في بعض الرجال الذين يفشون أسرار الزوجية، ويُظهرون خفاء البيوت أمام الناس، ويكشف ستر بيته وزوجته لمن لا يؤتمن، فمثلاً يُعطى تقريرًا لأمه، عن كل حركة وكل سكنة في البيت، ماذا أكلا ماذا شربا؟ أين ذهبا؟ ماذا اشترايا؟ كم تُنفق زوجته من المال؟ ويتطور الأمر كذلك ليروي لها ماذا فعلا في المعاشرة الزوجية، وقد ذكرت بعض الاحتمالات حول هذا السبب، وكان التساؤل عن طبيعة هذا الزوج الذي يفشى الزوج الأسرار؟ فكان منها:

١- ربما لا يملك النضج الكافي الذي يجعله قادرًا على التمييز بين ما يمكن أن يقال وبين ما لا يصح أن يقال.

٢- أو تكون شخصيته اعتمادية ولا يستطيع أن يقول للناس "لا" أو يضع حدودًا في العلاقات بينه وبين الناس..الخ

ولعل هذا التوصيف الرابع قد عاينت مثله ورأيت بعضه، وما زلت أذكر هذه الجلسة السخيفة المملة، التي رأيت فيها رجلا تمنيت لو بصقت عليه لكلامه الشاذ وحديثه المنفر.

إن بعض الناس، يسعد وينتشي حينما يتلفظ بكلام خارج وسافل وغير مهذب وبذيء وساقط، يدور كله حول الشهوة والنساء وممارسة الجنس، كثير من هؤلاء نجدهم في حياتنا، والله إنه ليصيبني الاشمئزاز والقرف والضيق، إذا

قدر لي أن ألتقي بأحدهم أو تجمعني به ظروف قاهرة خارجة عن إرادتي،وهو ما حدث بالفعل حينما اصطحبني صديق لي لسهرة من السهرات، إن الرجل يظن أنه خفيف الظل، مرح الكلمات، فريد النكات، ولا يعلم أنه والغ بما يتكلم في عالم السفالة والسفاهة.

لم يكن الرجل يحوم حول معاني الجنس وصوره فقط، بل ارتكب ما هو أبشع من ذلك ما لو سمعه القارئ لدُهش من هذه الوقاحة التي لا نظير لها، لقد كان الرجل يتحدث عن ما يحدث بينه وبين زوجته من أسرار، وطبيعة العلاقة الزوجية والمعاشرة الحميمية، ثم يعرج بكل جرأة ليصف مفاتن زوجته، ويصور للجالسين معه مشاهد عورتها، ثم يروي بتفصيل ممل، بعض تأوهاتها وانفعالاتها ويقول: فعلت معها بالأمس كذا وكذا، وأصبت كذا وكذا!

وأمام هذا المشهد الذي كنت حاضرًا فيه، والذي ما زلت حتى هذه اللحظة مستاء لحضوري فيه، لكنني أُسرّي عن نفسي ندمها وأتشفع لها، لأنني وقتها لم أكن كالجالسين، الذين صرفوا أذهانهم وانتباههم لحديث الرجل المثير، لأنني في عالم آخر، فقد كنت شاردًا في مساحات هائلة، من التأمل والتعجب والتفكر في أمر هذا الرجل الوقح الغريب، وكنت أتساءل: أي عقلية هذه؟ وأي تربية هذه؟ كيف يكون فهم هذا الرجل الذي غابت عنه كثير من معالم العفة والحياء والستر والأدب والخلق.!

كنت أتأمله وهو يضحك بعد كل رواية وجملة، يريد بها أن يملأ أذن سامعيه من المشاهد المثيرة التي تشعره أنه متميز صاحب مغامرات وصولات وجولات في عالم الجنس، تخيلته ساعتها وقلت في نفسي: إنه بما تحدث وأذاع،

لا يختلف كثيرًا عما لو أنه أتى بامرأته ونزع ثيابها وعراها أمام الناس، فرواياته الساقطة وحديثة الجنسي المبتذل قد أغنى عن كل شيء.!

كما لا أعلم، كيف لهؤلاء الأقران إذا مر أحدهم في الشارع وقابل زوجة صاحبهم الأبله المنحط.؟ كيف له أن ينظر إليها وقد علم من أسرارها ما علم؟! لا شك أن هناك شيء غير جيد وغير سوي، وأمثال هذا الزوج السفيه، لم يغفل رسولنا الكريم أن يندد بحماقته حينما قال: (إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِى إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِى إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا.)

و قال: (إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِى إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِى إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا.)[1]

وعن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله والرجال والنساء قعود عنده فقال ﷺ : "لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها ". فأرم القوم يعنى سكتوا ولم يجيبوا، فقلت: إي والله يا رسول الله إنهن ليقلن وإنهم ليفعلون، قال: "فلا تفعلوا فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون"[2]

وقد نقل الغزالي- رحمه الله- رواية عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق زوجته فقيل له: ما الذي يريبك فيها ؟،فقال: العاقل لا يهتك سر امرأته، فلما طلقها قيل له: لم طلقتها؟ فقال: مالي وامرأةُ غيري، كما أن الشريعة أجازت لأحد الطرفين أن يرفع دعوى على الآخر إذا كان يفشي الأسرار الزوجية دائمًا"،

١- رواه مسلم

٢- رواه أحمد ٤٥٦/٦، والطبراني في الكبير ١٦٢/٢٤

وللقاضي ان يعزر من يفشي السر، وقد حدث ذلك بالفعل، فقد رفعت امرأة دعوى قضائية أمام محكمة الأسرة تطالب فيها بالطلاق من زوجها، الذي يُفشي أسرارها الخاصة والعامة، حتى وصل به الأمر؛ إلى ذكر تفاصيل ما يجري في غرفة النوم لأصدقائه في العمل كنوع من التفاخر والعنترية الكاذبة.

وروت مشكلتها في دعواها قائلةً: «تعرفت إلى زوجي أثناء دراستنا في كلية الهندسة، وتقدم الى خطبتي بعد التخرج ووافق أهلي وتم الزواج بمجرد حصولنا على عمل في الشركة نفسها، إلا أنني فوجئت بنظرات غريبة من زملائه في العمل تجاهي بعد الزواج، تعجبت ولم أفهم السبب، حتى جاء اليوم الذي أخبرتني فيه إحدى صديقاتي في العمل، بأنها علمت أن زوجي يُفشي أسرار غرفة النوم لزملائه في المكتب، ويتفاخر بما يفعله من دون حياء أو خجل، ابتداءً من ليلة الزفاف حتى الآن، ويروي لهم كل التفاصيل أولاً بأول».

وأضافت الزوجة في دعواها: «لم أصدق نفسي، فعندما واجهته ارتبك وأنكر تمامًا، إلا أنني بحسي؛ ربطت بين النظرات المريبة من زملائه في المكتب تجاهي، وبين ما يفعله، وحاولت إصلاحه مرات، حتى أنني هددته بتركي العمل لأنني لا أطيق هذه النظرات القاتلة من زملائه، إلا أنه لم يستجب، وهددته بترك منزل الزوجية، فلم يتوقف عن عادته الذميمة في إفشاء أسراري الخاصة، معتقدًا أن هذا نوع من الفروسية، وكأنه كما يقولون: يفتح عكا.

طلبت الزوجة من المحكمة تطليقها وحصولها على حقوقها كافة، لأنه طلاق للضرر من زوجها غير الأمين على أسرارها الخاصة، استدعته المحكمة وواجهته بما تقوله الزوجة، حاول إنكار ذلك مدعيًا الخجل والحياء، وهذا ما

جعل المحكمة تطلب الاستماع إلى شهادة زملائه في العمل، حتى تصدر حكمها عن بينة.. وبهذا الحزم، يجب أن تُقابل هذه النوعية من الأزواج، حتى يدرك بلاءه والمصيبة التي جرها عليه لسانه الخبيث، الذي ينطق بما لا يقال، ويفشي مالا يظهر ويهتك الأمانة التي كُلف بحفظها وصيانتها بحق الله ورسوله.

الزوج البخيل

لا نملك لها إلا الدعاء والحث على الثبات والصبر حتى يفرج الله كربتها بموته وهلاكه، أو أن تنزل عليها ثروة من السماء من ميراث أو مساعدة أبنائها لها حين يكبرون ويعملون، وتصير لهم مرتبات وقدرة على الإنفاق، نعم إنها الزوجة التي تُبتلى برجل بخيل مقتر، يتسبب في شعورها الدائم بالحرمان والحاجة والافتقار، يتسبب في خلق إنسانه حسودة حقودة على غيرها من زوجات حباهن الله تعالى أزواجًا كرماء جوادين، يتسبب في إيجاد زوجة تعيسة تشعر دومًا بالنقص والضآلة، حينما ترى غيرها من الزوجات منعمات مرغدات، ولا أعرف لماذا أريد أن أقول الآن: إنها لو قتلته أو دست له في الطعام سمًا، فإنها تكون محقة أو أنه يستحق ذلك، جزاء هذا الكرب والضنك والضيق الذي أحيا فيه بيته وزوجته وأسرته.

هناك أزواج يهوون جمع المال، ولا يجد أحدهم سعادته إلا في تحصيله، واللحظات الوحيدة التي يشعر فيها بالحزن والهم، حينما ينفق شيئًا من هذا المال، حتى ولو أنفقه في طعامه، والغريب أن مثله يظل يكنز المال ويجمعه ثم يتركه ويموت دون أن يستمتع به، لأناس لا يترحمون حتى عليه لسالف سيرته فيهم، وما فيها من ذكريات مؤلمة مظلمة، كلما تذكروه فيها، تذكروا معه سنين الشظف والجدب والضنك والتعري التي أحياهم فيها وأقامهم عليها.

إن حقوق الزوجة كثيرة متعددة، وأولها النفقة عليها، والتي ليست منّة من الزوج ولا تفضلاً وإنما هي واجب عليه، وقد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت)[1] وقال : (وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في فم امرأتك)[2] وقال: (لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً)[3] فالتقصير في النفقة، يعتبر إثمًا من أكبر الآثام، بل من الكبائر إن قدر عليها ولم يوفها، كما أن القيام بها قربة من القربات التي يتقرب بها إلى الله تعالى ويثيبه عليها، ولو فرط فيها، فإن إيمانه ينقص ولا يكتمل، لأن الله تعالى هو الذي يرزق ويُغني، وليس بُخله وحرصه وتقتيره، قال تعالى: (نحن نرزقهم وإياكم)[4]وعلى البخيل أن يُمنى نفسه بهذه الصاعقة، حينما يعلم أنه لن يدخل الجنة حسب ما أخبر المعصوم صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة خب ولا منان ولا بخيل)[5]! إنه يفسد على نفسه كثيرًا من الثواب الجزيل ودربا عظيما من دروب تكفير السيئات لقوله صلى الله عليه وسلم: (ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة)[6] و قد فطن الفقهاء لهذه المسألة، وكانت فتاويهم فيها قوية عنيفة، لم ترحم هذا المقتر الخاسر، فقد ذهب

١-أخرجه أبوداود، كتاب الزكاة، باب فضيلة الرحم، (١١٨/٣)، رقم: (١٦٩٢)، و صححه الألباني في المشكاة، رقم: (٣٣٤٦).

٢-متفق عليه

٣-رواه النسائي: ٣١١٠، وهو حديث صحيح

٤- الإسراء: ٣١

٥- رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب

٦- رواه البخاري

الجمهور إلى جواز طلب الزوجة طلاق نفسها رغمًا عن زوجها البخيل، إن لم يدفع نفقتها، وذهب الحنفية إلى سجنه، كما يجوز لها أن تأخذ من ماله بدون علمه ما يكفي للإنفاق عليها وعلى أولادها من غير تقتير ولا إسراف.

وقد قرأت مؤخرًا قصة امرأة طلبت الخُلع من زوجها في قضية بمحكمة الأسرة بسبب بُخله بعد (٤٠) يومًا من الزواج، وقد ذكرت في دعواها أنها اكتشفت أنه بخيل جدًا فمن أول يوم زواج قال لها: إني لا أحب الخروج للتنزه ولا الفسح، فالخروج يكلفنا كثيرًا من المصاريف وهو تبذير، رغم أنه ميسور الحال ماديًا.

وأضافت: إنه بخيل جدًا حتى في الكلام، فعندما أطلب منه أن يتكلم معي، يكون رده: كتر الكلام بيجوع، وبالتالي نحتاج نأكل وجبة زيادة، وأنها توسلت إليه أن يخرجها للتنزه بسبب الملل من دوام البقاء داخل البيت، وقالت: طلبت منه أن يشتري لي ساندوتش شاورما فرفض وقال: إحنا خارجين نشرب عصير فقط! واتهمني أنني أستغله بطلب ساندوتش وعصير في يوم واحد، وظل يؤنبها حتى قال: إنه أخطأ لأنه أخرجها.

إن المرأة بطبعها وفطرتها تكره البخل والشحَّ، وتحبُّ الرجل الكريم، الذي لا يبخل عليها بحبِّه ولا رعايته وأمواله، وكثير منهن يعانين مرارة بخل أزواجهنَّ، وقد قدمت بعض المختصات في علم النفس جانبًا من النصائح المهمة للزوجة، كمحاولة لعلاج بخل زوجها الذي اكتشفته وسبب لها أزمة حياتية حيث قالت:

- إذا اكتشفتِ أنَّه بخيل فلا تُشعريه بذلك، حاولي أن تتفهمي سبب بخله، بل ابحثي عن السبب الرئيس وراء هذه العلة، وتعاملي معه ثم حاولي إيجاد حلٍّ مناسب يرضيكما.

-تذكري دائماً أنَّه مريض يحتاج المساندة والمواساة عند صرفه مبلغاً مرتفعاً.

- أكدي له دائماً أنكِ تقدرين له تعبه وإنفاقه عليكم.

- أشعريه بأنَّه رجل طبيعي ولا تستهزئي بشعوره، حتى لا يعلم بأنك تعلمين أنَّه بخيل أو تصفيه بالبخل، أو تكرري كلمة «أنت بخيل»، عندما تتحدثين معه لا يجب عليك اتهامه أو مهاجمته أو توبيخه.

- لا تشتكي منه أو تعايريه لأنَّه في هذه الحالة سوف يزداد سوءًا، لكن صفية بالحرص الزائد.

. حاولي أن تتفهمي سبب بُخله وتتعاملي معه.

. دعيه يشعر بمدى سعادتك أنت وأبنائك عندما يشتري لكم بعض احتياجاتكم.

. تحدثي بشكل غير مباشر وفي أوقات مختلفة عن مضار البخل وكيف أنَّه صفة مكروهة دينيًا واجتماعيًا.

. امتدحي كرم شخص تعرفانه ويحترمه زوجك ومن نفس مستواه المادي وسعادة زوجته وأولاده بما يقدِّمه لهم، لكن انتبهي ألا يكون ذلك في شكل مقارنة بين زوجك وبين هذا الرجل.

. حدِّدي مع زوجك الأهداف المشتركة التي قد تتطلب مالاً كثيرًا مثل مصاريف المدارس، وشراء سيارة جديدة والانتقال إلى منزل آخر.

. من حقك أن تأخذي ما يكفيك أنت وأبناءك في حدود احتياجاتكم وبما يتماشى مع مستواكم الاجتماعي.

. اعملي على المقارنة بين البخل والتبذير حتى لا يشعر بأنك ترغبين بالتبذير، وشجعيه على أن يقتصد مما يأتيكما من دخل.

. عند الذهاب إلى السوق، اجعليه يذهب معك، لكي يرى الأسعار الخاصة بالمشتريات ليقدِّر بنفسه أنَّها مرتفعة.

. لا تقومي بالابتعاد عنه أو التذمر منه، لأنَّ البخل غالبًا ما يكون عاملا من عوامل التربية، فادخلي إلى عقله وتفاهمي معه، وحاولي علاجه.

. إذا كانت حالة الزوج البخيل ميئوسًا منها، ولا تستطيعين التعامل معه فالجئي إلى تدخل الأهل، وكوني حريصة على عدم إهانته أمامهم، فهو زوجك وأبو أبنائك، لا تشوهي صورته وتُقللي من شأنه.

وأمام هذه النصائح الواعية، أتوقع أن تُحدث نوعًا من العلاج والاستجابة الفاعلة التي تزيل هذه العلة المزرية، وهذا الداء الوبيل الذي يهدد الحياة الزوجية.

الرجل النطع ؟!

أكثر صورة أمقتها في حياتي وأكاد أتقيأ من مشهدها، هي صورة ذلك الرجل النطع الذي تلغي امرأته حضوره ورجولته، وذكره وذكورته، وتغتصب منه القيادة والرأي والتوجيه والحكم والإدارة في شؤون البيت، وتسيير دفة الحياة، وتقرير مصير الأسرة والأولاد.! ويعدو خلفها رافعًا لواء النطاعة، فلا يقطع أمرًا دونها، ولا يأخذ قرارًا دون مشورتها، فالكلمة كلمتها، والحكم حكمها، والرغبة رغبتها.!

والحق أننا أمام هذه الحالة المقلوبة والمعكوسة، نشعر بأن هناك شيئًا غير طبيعي، وأن نواميس الكون قد انقلبت وأن الشمس توشك أن تشرق من مغربها، بل أشعر بنفس الشعور الذي أجده حينما أرى مخنثًا، أو أسمع عن رجلٍ تحول لامرأة بعملية جراحية يقشعر منها البدن.!

لقد أفسحت للتأمل في هذا الموضوع مساحات كبيرة، وطرحت على نفسي أسئلة كثيرة وصرت في حيرة ودهشة، فقد أعياني الجواب، لماذا يضعف الرجل أمام امرأته بهذا الشكل.؟ هل يجد في ذلك متعة؟ هل هو ضعيف حقاً؟ هل لها سحر وجمال ينسيه نفسه كلما وقف أمامها؟ هل يقتنع فعلاً أنها تفوقه عقلاً وحكمة فأخلى لها الميدان؟ تساؤلات كثيرة، وجوابات أكثر، لم أستطع أن أهتدي للشافي والصحيح منها، في تشخيص حالة نطع الأنطاع مع زوجه القوية المفترية، الحاكمة القاهرة المتسلطة.!

في قرية مجاورة لقريتنا الريفية، كانت تربطني صداقة بواحد من هؤلاء، فحاولت الاقتراب منه في محاولة لتحليل الموقف، والوقوف على سبب المأساة، وقلت في نفسي: من المؤكد أن المشكلة في زوجه، فلعلها تصبغ وجهها وخديها بالألوان الجذابة، لعلها تكتحل له فهيم صبابة في رموش عينها السوداء، لعلها أنيقة الثياب شديدة الجمال، ساحرة التقاطيع، ولا يستطيع أن يواجه هذه الساحرية؛ التي تطغى على عواطفه وتكبل فؤاده.! لكنني وجدتها عادية، فلا جمال ولا ساحرية ولا أناقة ولا شياكة ولا تفرق أو تتفوق على أي امرأة عادية طبيعية في أي شيء، إذن فما سر النطاعة وما سبب الانبطاح؟!

لقد تأكدت وبعد كثير من المقارانات والحالات، أن كثيرًا من الأزواج الأنطاع، يُحبون ويعشقون أن تقودهم المرأة، ويستلطف أحدهم أن تركب عليه زوجته، ويستمتع حينما تنهد رجولته وتنهار أمام أنوثتها، بل يشعر باستمتاع أكثر، كلما تطاولت المرأة في جبروتها عليه، ودهست كرامته وكرامة أبيه وأمه، وألغت شخصيته ليظل صاحبنا نطعًا ويعيش نطعًا ويموت نطعاً.! أي أنها حالة نفسية.!

كما أعلم علم اليقين، أن الموضوع حساس وشائك، لأن هذه الحالة البغيضة لهذا الرجل النطع، قد تكون قريبة منا جدًا جدًا، وموجودة في أقربائنا أو أصدقائنا أو جيراننا، الذين نشمئز منهم كلما رأيناهم وهم يتجملون بنطاعتهم، فأتمنى ساعتها لو أبصق عليه وألطم خده يمنة ويسرة، حتى يفيق من هذا الخذلان.! كما أعرف تمامًا شعور هذه المرأة المسيطرة، وأعرف بدقه ما يدور في دخيلتها، فالمرأة التي تتزوج رجلاً ضعيف الشخصية، ترى نفسها

أسعد النساء على وجه البسيطة، لأنها وقعت على كنز كبير يؤهلها لشيء ربما حُرم منه غيرها كثير من النساء، فهو يعني أنها ستكون سيدة مطاعة، وأن قرارها هو النافذ، وأنها ستسير بحريتها، بل يعني أن كل شيء بأمرها، ويعني أن مصير الحياة والبيت بيدها ورأيها، وأمتع شيء في حياة بعض النساء، أن تتحول عن طبيعتها فتتولى مهام الرجل، لأنها دومًا تشعر بضعفها ونقصها وهزيمتها أمامه، وفجأة تنقلب الآية، وتواتيها الفرصة لتخرج وتعبر عن حرمانها الذي تشعر به ويئن بين ضلوعها.!

والمصيبة في هذه الزوجة، لو أنها أنجبت بنتًا تخرج إلى صفحة الحياة، فتشاهد هذا الواقع البئيس المعكوس، فتظنه الوضع الطبيعي والمعهود، فتتزوج وتتولد لديها رغبة في محاكاته، فتتقمص دور أمها وشخصيتها في قهر زوجها وإقصائه عن منصة القيادة، وهنا تحدث المشكلة ويتولد الشقاق، وتتعمق المشكلات الزوجية، وممن أعرفهم زوج دائم الإذلال لزوجته، يُهينها على الدوام، وينتقص من شأنها أمام الناس، ولما حدثته في ذلك، وطلبت منه أن يكف عن طريقته قال لي: أنت لا تعرف الموضوع: لقد تربت زوجتي في بيت تسيطر فيه أمها على مقاليد الحكم في البيت على أبيها وإخوتها، وتملك زمام الأمور في كل شيء، حتى همشته ومحت له أي دور في البيت وقرارات الأسرة، حتى صار كخيال المآتة ولا حس له ولا صوت، وتريد زوجتي أن تتقمص دور أمها وهو ما لن أسمح به أبدًا.!

ومن باب الإنصاف للمرأة، وحتى لا تظن الظانات أنني عدو لجنسها، وأمام هذه الزوجة المسيطرة الغالبة، أقرر أن هناك زوجات عاقلات حكيمات، لهن

قدرة فائقة على القيادة والتأثير وحسن التوجيه، حتى وإن وقع في يدها زوج ضعيف الشخصية، فإنها دومًا تحافظ عليه وتكبر به، وترتقي بشخصيته، وتهذب طباعه وتدفعه للصواب والنجاح، والصحيح من الأمور، والرشيد من الأفعال، تحثه دومًا على فعل الواجب والبر بأقاربه، والإحسان إلى ذويه، وصلة أخيه وأخته وأبيه وأمه، كما تُحاول أن تجعل منه السيد، وتصور للأغراب أنه الرجل الشديد، مطاع الكلمة نافذ الأمر والسلطان، والسيد الهمام الذي ليس بعد كلامه كلام، ولكن هذا النموذج من النساء العاقلات قليل في دنيا الناس أو في دنيا الرجال الأنطاع، ويوم توجد، فإنها تستحق منا أن نضع تاج الحكمة على هامتها، لأنها استطاعت أن تغلب نوازع التمرد في نفسها، ونزع جذور العقد النفسية من ذاتها، والإبقاء على طبيعتها وخصائصها التي قررها لها الخالق سبحانه.! لقد كانت أم سلمة المخزومية زوج أبي العباس السفاح، أول خلفاء العباسيين محظية عنده، لديها عقل وحكمة ومال، وقد حلف أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى، فولدت له محمدًا وريطة، وغلبت على أمره غلبة شديدة، حتى أنه كان لا يقطع أمرًا إلا بمشورتها، حتى آلت الخلافة إليه، فلم يكن يدنو من غيرها لا حرة ولا أمة، ووفى لها بما حلف أن لا يغيرها، ومثل هذه المرأة لم تستغله لتحقر من شأنه، أو تسوقه لصغائر الأمور، وإنما علت به حتى صار أمير المؤمنين.!

لاحظوا معي رضي الله عنكم، أنني أتحدث عن وضع المرأة، حينما يكون لها شريك في الحياة الزوجية، وقد قرر الله تعالى، أنه هو القائد والموجه والقيم على أمر البيت في قوله تعالى :(الرجال قوامون على النساء،)[1] لما أوجد فيه تعالى من خصائص تعينه على تحمل المشاق والمسؤولية، لكن حينما لا يوجد الرجل ،فمن حق المرأة أن تتسيد كما تريد، وتقود وتوجه وتقوم برسالتها نحو بيتها وأبنائها برأيها وطريقتها ، وكم رمتنا الأنباء في صفحات التاريخ، بأمهات قمن بواجبهن أحسن قيام، فربت وتعبت وخرجت رجالاً ملأوا الدنيا بذكرهم،.ومن الخطأ الكبير، أن يشتم أحد من حديثي أنني ألغي كيان المرأة وعقلها وقدراتها وإمكاناتها، وأجردها من أي سمة أو صفة تؤهلها للقيادة.! فليس هذا رأيي ولا ما أقصده، ولكنني وبالحكمة وعبر التجارب والممارسات، أحاول إيجاد مناخ سعيد بين الزوج وزوجه، لنتحاشى قدر الإمكان، أسباب المشكلات التي تعكر صفو الحياة الزوجية التي هي تمامًا كمركب لا تقبل رئيسين، ولو قبلت لغرقت كما يقول المثل العامي.!

إنني أحترم المرأة، وهذا الاحترام علمنيه ديني الذي كان أعظم من أعاد لها كيانها وقيمتها ومكانتها، وخاطبها كإنسان مسؤول، وشريك للرجل في حمل الرسالة والأمانة، بعد أن كانت الجاهلية قبله تدفنها في التراب.! وهو النداء الذي يجب أن نؤكد عليه وبشدة في هذه الأزمان، ونستنكر معه أي محاولة للحط من مكانتها التي يوليها الأعداء اليوم قدرًا كبيرًا من الرعاية والاهتمام، يقول شيخي العظيم محمد الغزالي رحمه الله: (المرأة عندنا ليس لها دور ثقافي

---

[1]- النساء: ٣٤

ولا سياسي، لا دخل لها فى برامج التربية ولا نظم المجتمع, لا مكان لها في صحون المساجد ولا ميادين الجهاد، ذكر اسمها عيب، ورؤية وجهها حرام, وصوتها عورة، وظيفتها الأولى والأخيرة إعداد الطعام والفراش.! المرأة اليهودية تُشارك مدنيا وعسكريًا فى قيام إسرائيل، وها هى ذي توشك أن تكون ملكة في البيت الأبيض، تضع اللمسات الأخيرة في الإجهاز علينا, ولا يزال نفر من أدعياء التدين يجادلون في حق المرأة، أن تذهب إلى المسجد وتحضر الجماعات, إننا نموت قبل أن يحكم علينا غيرنا بالموت! فهل نعى ونرشد؟)[1]

[1]- من كتاب قضايا المرأة للشيخ محمد الغزالي

المتجبرون على المرأة!

هل تتخيل صورة هذا الغبي الغليظ، الذي يؤمن أن المسار الوحيد لتأديب المرأة واعتدالها إنما يكون بالضرب والجلد والتعذيب، بهذا فقط تخرج المرأة مستقيمة مؤدبة مهذبة، ذات خلق وأدب وتربية، إنها صورة ومشهد جدير وحري أن يبصق عليه كل عاقل رشيد، وأن يصف صاحبه بالحيوانية والتخلف والحماقة.!

لقد كانت هناك فتاة تحكي لي: كيف كان والدها يتفنن في ضربها وإخوتها وهم صغار، فلا يمر يوم دون أن ينصب لهم المشانق ويذيقهم آلام الجلد والتعذيب بطريقة وحشية قاسية، كان الرجل يستمتع وهو يعذب أبناءه كما كان يستمتع وهو يضرب أمهم، فالضرب عنده كان سيف الأخلاق الذي يقومهم به، ومنهج الاصلاح الذي يقيمهم عليه، وإذا لُمت أمثاله في ذلك يقول لك وهو يجز على أسنانه ويحد في بصره: هذا هو العلاج لهذا الجنس الأعوج الملعون.!

وأمثال هؤلاء لا يشعرون برجولتهم، إلا حينما يتجبرون على المرأة المسكينة الضعيفة، فإذا عجز عن ضرب أترابه في الشارع، رجع إلى البيت ليثبت رجولته التي انتزعت منه على حساب زوجته المعذبة وفتياته الهزيلات.

وليته ضرب عادي أو عابر كلكزة أو لكمة، وإنما هناك من يضرب زوجته وفتاته بطريقة وحشية، وكأنها عملية تار أو تطهير عرقي وصورة من صور الاضطهاد والاذلال المتعمد التي لا علاقة لها بالإسلام ولا بالإنسانية ولا بالأدب ولا بالأخلاق في شيء.!

أذكر وأنا صغير، أن امرأة جاءت لوالدتي تشتكي لها قسوة زوجها واعتدائه عليها، وكشفت المرأة عن ساقيها وبعض جسدها، فإذا جلدها مسلوخ، أو أنه قد صب عليه وابل من جمر مستعر وكانت علامات العصي أو الشوم، مطبوعة على جسدها حتى بكت لها الوالدة، واستنكرت هذا الفعل المتجبر القبيح.!

إن هذه الصورة كانت شائعة في الزمن القديم، لقلة الوعي والتعليم، أما حينما تحدث في هذه الأيام وأمام هذا التطور الذي لحق بالإنسانية، فإن هذا الفاعل إما أن يكون مجنونًا أو معقدًا، ويجب على المجتمع أن يستنكر هذا المتوحش الأحمق، ويلفظه ويزدريه حتى يتوب عن حماقته.! ولو كان الأمر بيدي لأعددت له قفصًا كالذي يعد للحيوانات المتوحشة والقرود، ووضعته فيه حتى يتعرف على آدميته ويتذكر أنه إنسان.!

ولعل هؤلاء الحمقى قد فهموا الضرب الوارد في كتاب الله بصورة محرفة مقلوبة فالله تعالى يقول:(وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا)[1] والضرب هنا كما فسره الحديث الشريف (ضربًا غير مبرح) وفسره الأئمة بأنه الضرب اللين الذي لا يكسر عظمًا، ولا يشين جارحة ويكون مصحوبًا بعاطفة المؤدب المربي ،ولا يكون تعذيبًا وتشفيًا وانتقامًا.!

لقد ندد عظيمنا وزعيمنا صلى الله عليه وسلم بهذه الوحشية مع هذا الجنس الرقيق فقال: (لا تضربوا إماء الله) وأخرج النسائي: (ما ضرب رسول

---

[1]- النساء: ٣٤

الله صلى الله عليه وسلم امرأة ولا خادمًا قط) وفي البخاري من قوله صلى الله عليه وسلم: لا يجلد أحدكم امرأته جلد العير ثم يجامعها آخر اليوم، وقوله: إني لأكره للرجل أن يضرب امرأة عند غضبه، ولعله أن يضاجعها من يومه، وهي صورة لا شك شوهاء! استنكرها الإنسان الأعظم صلى الله عليه وسلم، الذي يريد أن يُعلمنا أن المرأة ليست بهيمة، وليست دابة من الممكن أن تضربها في نفس اللحظة تمتطيها، وتسوسها إلى حيث تريد.!

أعلم أن هناك نساء بشعات شرسات جزاؤهن الشنق أو الحرق، لكن، لن يكون في ضربها وإنما هي ابتلاء لو صبرت عليه لأثابك الله تعالى.!

زوجي خيال مآته!

تسعد المرأة السوية حينما تتزوج رجلاً بمعنى الكلمة

حينما تشعر فيه بهذه الرجولة

حينما تشعر فيه بالإنصاف والمروءة والعدالة

حينما تشعر فيه بأنه صاحب كلمة قوية مسموعة نافذة

حينما تشعر فيه بأنه يحبها وينتصر لها ممن ظلمها، حتى ولو كانت أمه أو أبيه، لأنه لا يرضى بالظلم، ولا يحب الجور، ويرفض بكل قوة أي إهانة توجه لها.

والحق أن هذا الشعور تحديدًا، هو أسمى شعور ترى فيه المرأة سعادة لا مثيل لها، وفرحة غير مسبوقة؛ لزوج يعتز بها ويقدر مكانتها، ويحميها من كل ما يؤذي مشاعرها.

كثير من الأمهات في هذا الزمان، معقدات ظالمات، لا يمتلكن ضميرًا حيًا، أو دينًا قيمًا، يحثهن على الاعتدال، أو يدفعهن لخوف الله، فيمارسن دور الحماة القاسية في حياة زوجة ولدها، وتستغل أمومتها لزوجها، فتعاملها بقسوة وخشونة، وتحمل لها في قلبها طاقة هائلة من البغض والكره والضغينة ما تنوء بحمله الجبال العاتية.

تستفزها، تقهرها، تحتقرها، تفتري عليها، تسحقها في خدمة البيت، تستعبدها، كأنها خادمة، تشكو على الدوام منها، تلفق لها التُهم الجزاف، تسيء

بها الظنون، تسلط زوجها عليها، تُحدث الناس عنها بسوء، وتشهر بها، ولو طالت أن تبصق عليها؛ أو أن تطأها بأقدامها لفعلت.

وتبحث الزوجة المسكينة وسط هذا النكد والشقاء، عن زوج ينصرها أو يدافع عنها، أو يرد عنها وحشية أمه فلا تجده، تذهب إليه تشكو حالها وتستعطفه، وتبكي أمامه بدموعها حتى يحن لها ويشعر بألآمها، لكنها ترى شخصًا خائبًا باردًا متبلد الحس والشعور، تفاجأ بخيال مآتة، ورجل لا رجولة فيه ولا شهامة، سلبي مجرد من المروءة عديم الشخصية، لا يستطيع أن يُنصفها أو يدافع عنها.

وتعود المسكينة لا تجد من يواسيها في بلائها العظيم، إلا دموعها الساخنة، في ليل كئيب أسود يعكس حال هذه الحياة السوداء التي تحياها، فتلوذ به تعرض شكاتها وحالها الأليم، وتبثه مصيرها البائس التعيس، وتظل الزوجة الحزينة تندب حظها ليل نهار، أن أوقعها القدر تحت هذه المرأة الجبارة المتسلطة المعقدة، وهذا الزوج التافه الإمعة الذي لا رجولة فيه ولا شخصية.

وننقل هنا رسائل كثيرة تضج بها المجتمعات والبيوتات، فتلك تشتكي: كره حماتها لها وكيدها بها، ومحاولة التفريق بينها وبين زوجها بالشعوذة والسحر والكيد الخفي،

وأخرى تقول: حماتي تتدخّل في كل شؤون حياتي، حتى في لبسي وزينتي وطريقة نومي واختيار عطري.! بل إنها تتدخل حتى في اختيار طبق اليوم الذي أطبخه لزوجي.!

وثالثة مقهورة تقول: حماتي تكره أبنائي ولا تُحبهم فهي تضربهم لأتفه الأسباب، ولا تعاملهم على كونهم أطفال صغار؟!

وإحداهن تتساءل محتارة: هل من حق والدة زوجي أن تدخل غرفة نومي من غير إذني وتفتش في أغراضي؟! بل هل من حقها أن تمتلك نسخة من مفاتيح بيتي؟! إنني محتارة ولا أشعر بالأمان في بيتي.!

وتلك تخنقها عبرتها وهي تشتكي حماتها وتقول: إنها دائمة النقد لي أمام الجارات والصديقات، فلا يُعجبها ملبسي ولا مشيتي ولا صمتي أو كلامي، دائمة الدعاء عليّ أمامهنّ وكأنني الجريمة الوحيدة في حياتها.!

بل قد وصل الحدّ ببعض الحموات: أن تحرّض ابنها على طلاق زوجته، لأنها أساءت إليها أو لم تدخل مزاجها.!

وتريد الزوجة أن تنفجر، لكنها تجد الجميع يحثونها وينصحونها بالصبر والتحمل من أجل البيت والأبناء، والعيش في ظل زوج حتى ولو كان مليئا بالعِبر، فتتحمل وتتحمل، حتى تصاب بمرض أو جنون، أو تتعقد حياتها وشخصيتها وتصير امرأة غير سوية، وكل هذا البلاء، يُساهم فيه زوج غشوم أو ظالم أو بارد أو إمعة كخيال المآتة، لا يفصل في شيء، ولا يعنيه شيء، ولا يحكم بالحق في أي شيء.!

وهذه زوجة كانت ضحية حماة مريضة بالغيرة الشاذة، دمرت حياة ولدها، وهدمت بيته وفرقت بينه وبين زوجه، لقد مات زوجها وتحول أولادها لأيتام صغار، ولد وبنتان، ربتهم وسهرت عليهم وعلمتهم وتعبت من أجلهم، جعلتهم كل حياتها وشغلها في دنياها، رفضت أن تتزوج من أجلهم، حتى لا تأتي

لهم بمن يتحكم فيهم ويفسد سعادتهم، كانت تتوق أن تراهم أفضل الناس، وأعلى الناس، وأمجد الناس، كانت تتعشق لليوم الذي يعلم فيه العالم ويرى، نتيجة صبرها وثمرة جهادها وعاقبة تضحيتها، وكبر الأبناء وتحقق لها ما أرادته فيهم، وتزوجت الفتاتان ولما هم ولدها الوحيد أن يتزوج، ويبحث عن فتاة يرتبط بها ويُنشىء معها بيتا جديدًا، لم تستوعب الأم هذه الرغبة، ولم تقبل أن يشاركها في فلذة كبدها أنثى غيرها، ولكن الولد تزوج غير مبال بهواجس أمة، التي تحولت مع الأيام إلى كابوس مؤرق، أتعس أيامه، وأفسد كل حياته، حتى انتهى به المسار، أن طلق الفتاة المسكينة بعدما أنجب منها طفلا، لتذهب ضحية أم مريضة هدمت في نهاية المطاف جهادها المشرف، وتضحيتها السامية، بغريزة الغيرة الشاذة، التي قتلت سعادة ولدها وجعلته يدور في دوامة من الحزن والإحباط لا مثيل لها، وليتها أفاقت وصححت ما أخطأت فيه، لكنها لم تفعل ذلك لأنها عمياء جاهلة، فلتذهب الدنيا للجحيم وليبقى ولدها في أحضانها حتى لو بات تعيسًا محطمًا.

ما أروع هذه الفتاة الشابة، لقد كانت زهرة رائعة جميلة مشرقة، تشعر مع ضحكاتها وابتسامتها كأن العالم كله يبتسم ويغرد بهجة وسرورا، كانت درة والديها وملاكهما الجميل، لم يبخلا بها عن ذلك الشاب الذي اعتقدوا طيبته وكريم أصله ورفيع منبعه، فأمه هي تلك الأم الصابرة المجتهدة العفيفة، التي قامت على تربيته كأحسن ما يكون، وصنعت منه إنسانًا صالحًا يُسعد كل أسرة يصاهرها، ماذا يضيرهما لو أعطياه فتاتهما الجميلة؟، وماذا ينتظران في الحياة أفضل من أن يأتيها هذا الشاب الطيب، ليصون فتاتهما ويكرمها، حتى زفوها

إليه، وكانت الفاجعة فيه حين وجداه يفقد أرفع صفات الرجل، وهي العدالة والإنصاف ووجوده كرجل، لقد كان سلبيا لا يستطيع أن يقف أمام أخطاء أمه وإهاناتها المتكررة، لم يكن يستطيع أن يقول لها: لا أو يعترف بأنها تسير في طريقٍ ظالم، وليته يصمت ويتحسر لعجزه، ولكنه كان يلقي باللوم على زوجته ويوجه اتهامه لها بالخطأ واستحقاقها لما تفعله أمه، حتى تعقدت المسكينة من الرجال، وعزفت عن الزواج، ورفضت كل المحاولات التي تدعوها لاستئناف حياة جديدة مع شاب آخر، وقبلت بالرهبانية التي وجدت فيها سعادتها بسبب شاب لا وجود له وأم مريضة ظالمة.

الزوجة المهملة

أكتب اليوم عن آفة خطيرة من الآفات التي تُعاني منها بيوت الزوجية.!

إنها الزوجة المهملة، لكنه ليس ذلك الاهمال الذي يتصوره خيالنا حين تهمل الزوجة عملها في بيتها، وتتكاسل عن إنجاز مهماتها في أسرتها، وتتأفف عن مسؤولياتها المنوطة بها، من إعداد الطعام، وغسل الملابس، وتنظيف البيت، وتلميع الأثاث.

وإنما الإهمال الذي أعنيه وأريده، هو تلك المرأة التي تُهمل جمالها وزينتها ومفاتنها وثيابها أمام زوجها، ورغم علمها بحبه لذلك، ورغبته القوية في رؤيتها مبهرة، واشتياقه الدائم لبريقها الأخاذ، إلا أنها تُصر على إهمالها وتغاضيها وفتورها، فإذا ما طلب الزوج أن تتزين له تستهين بطلبه، وتجاريه حتى ينسى رغبته، وتعده أنها ستفعل، وتظل على حالتها، يطلب وتتكاسل، يأمر وتتهرب، حتى يُعرض عنها ويقل حبه لها، وينطفئ لهيب إعجابه بها، ثم تفاجأ في النهاية أنه يعرف الجميلات وأنس بالفاتنات المتزينات.!

إن الله تعالى قد منح الرجل قوة الجسد وقوامة الحياة، ومنح المرأة جمالها ومفاتنها التي تعوضها عن هذه القوة، فإذا ما أهملت المرأة جمالها، ولم تعتن بمفاتنها، فقد فرطت في وظيفتها وأهانت خصائصها كامرأة، وقتلت أنوثتها التي تميزت بها عن الرجال، وتكون الحجة دومًا جاهزة معدة مفصلة، فهي متعبة أو مرهقة أو نعاني من تربية الأبناء، أو أنها لا وقت لديها لذلك الدلال

والكلام الفارغ، والحجج كثيرة لا تعدمها المرأة، إن نوت هذا الاهمال الذي يقودها لشرخ لا يجبر في حياتها الزوجية.

ولو أنها ماهرة ذكية عاقلة، لأدركت أن تزينها، وإظهار جمالها هو وظيفتها الأولى التي تبتدئ بها في بيتها، وأول عمل تباشره حينما تقوم من نومها لترعى شؤون أسرتها، إن الزينة للزوج أمر محتم وضروري وقدسي، لا تفريط فيه ولا إهمال ولا تقصير ولا تراجع، لأنه الإعلان عن سحر المرأة وأنوثتها، والرباط المتين الذي يربط قلب الزوج وعينيه وكل جوارحه، ويجذبه إليها كما يجذب المغناطيس شذرات الحديد.

عليكِ أن تكوني حصيفة ذكية، ولا تستهيني بالأمر ولتعرفي ولتتعرفي على مزاج زوجك، ما الزينة التي يهواها؟ ما اللون الذي يحبه؟ ما اللباس الذي يألفه؟ ما الكلمات التي يتوق إلى سماعها؟ ما العطر الذي يحب أن يستنشق عبيره من جسدك.؟

لقد كانت هناك زوجة تهمل زينتها لزوجها، ولا تقرب أدوات الزنية، ولا تنظر في المرآة إلا في المناسبات، حتى تزوج عليها وجلب لها ضرة، فإذا بها تتزين وتتجمل، وتعرف طريقها للمرآة، حتى يَحن إليها ومرة أخرى وتجذبه لفراشها، ولكن بعد ماذا؟ بعد فوات الأوان.! بعد أن أخذته منك، تلك التي تتقن كيف تتزين وتتجمل؟

وزوج آخر يُعطي زوجته مالا حتى تشتري ثيابًا جديدة، لأنه يحب دومًا أن يراها في صورة أنيقة، فلا تلبي طلبه، وتنفق المال في شؤون البيت التي لا يتأخر عنها ابتداء، وحين يسألها تقول له: البيت ومصاريفه أولى من هذه الكماليات،

ولعلها جاهلة لا تفقه شيئًا، لأن هذه الأمور التي تراها من باب الكماليات، هي أكبر الأسس التي تُنمي جذور السعادة في بيت الزوجية ولكن أكثر الزوجات لا يعلمن ولا يدرين.!

تقول سيدة واعية: إن زوجي رجل يحتطب (يقطع الأخشاب، ويجمعه من الجبل، ثم ينزل إلى السوق فيبيعها، ويشترى ما يحتاجه بيتنا)، أُحِسُّ بالعناء الذي لقيه في سبيل رزقنا، وأحس بحرارة عطشه في الجبل تكاد تحرق حلقي، فأعد له الماء البارد؛ حتى إذا قدم وجده، وقد نَسَّقْتُ متاعي، وأعددت له طعامه، ثم وقفتُ أنتظره في أحسن ثيابي، فإذا ولج (دخل) الباب، استقبلته كما تستقبل العروسُ الذي عَشِقَتْهُ، فسلمتُ نفسي إليه، فإن أراد الراحة أعنته عليها، وإن أرادني كنت بين ذراعيه كالطفلة الصغيرة يتلهى بها أبوها.

بل العجب العجاب في امرأة تتزين لأهل الأرض كلهم إلا لزوجها، فإنها تحرمه من ذلك، فإذا خرجت لعملها تزينت وإذا خرجت لأهلها تزينت، وإذا خرجت لأي مناسبة ودعوة تزينت، أما المسكين الذي يجب أن تتزين من أجله، فلا قيمة له ولا تعيره اهتمامًا، وتظن أنها بعشرته لها، قد زالت الكلفة فليس هناك داع للتجمل والتزين.!

كما حكى لي بعض الأزواج: أن زوجته كانت ترتدي ثيابًا يُبغضه ولا يحب أن يراه عليها، فنهاها عنه مرة فلم تستجب، وثانية فلم تستجب، وثالثة ورابعة فلم تستجب، حتى ظهرت كأنها تتحداه وتعانده، فما كان منه إلا أن غضب عليها ومزقه إربًا إربًا.

احذري أيتها الزوجة أن تظني أنني أطلب منك المستحيل، أو أنني أدعوكِ للبطالة والعطلة الدائمة، وتظنين أنني أدعوكِ للنظر في المرآة طول اليوم والتخلي عن واجباتك البيتية! أو أدعوكِ لإرهاق زوجك ماديًا بشراء العديد من المساحيق وأدوات التجميل؟ أنا لا أدعوكِ لشيء من هذا، وإنما أتحدث عن بعض اللمسات البسيطة التي تعرفها النساء، وفي نفس الوقت تسر الزوج حينما يراها من زوجته، ولعلك تتعلمين من المرأة العربية التي نصحت بنتها قبل زفافها فقالت لها: التفقد لموضع أنفه، والتعهد لموضع عينه، فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، وإن الكحل أحسن الموجود، والماء أطيب الطيب المفقود".

فهل تستطيع كثير من نساء الحاضر، أن يفقهن ما فقهته هذه الأم العربية منذ مئات السنين؟

إننا نتكلم عن التزين والتجمل الذي يأسر قلب الزوج، ويملك فؤاده، والذي هوه كما يقولون غريزة في المرأة.! يقول ﷺ: (مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ،)[1]

فهل تحققين معنى الحديث أم تستبدلينه بقول آخر فتكوني: إذا نظر إليها غمته وأهمته؟!

ثم لا ينتهي الحديث حتى ألفتك أيها الزوج، وأخبرك أنني لست في حاجة أن أوصيك لتعتنِ بمظهرك وهندامك، وتبدي من نفسك أجمل صورة لزوجتك، فهي إنسان يشتهي ما تشتهي، وترغب كما ترغب وتحب كما تحب.!

---

[1]- أخرجه ابن ماجة (١٨٥٧).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إني لأحب أن أتزين للمرأة، كما أحب أن تتزين لي، لأن الله تعالى يقول: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)

وكان محمد بن الحسن يلبس الثياب النفيسة، ويقول: إن لي نساء وجواري، فأزين نفسي كي لا ينظرن إلى غيري.

وقال أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة: يعجبني أن تتزين لي امرأتي، كما يعجبها أن أتزين لها.

ومن الكلمات العامية الرائعة للشاعرة المجيدة (امتثال عبد الكريم) كانت هذه الجمل المعبرة التي تشير للمعنى المقصود حيث تقول:

الحقي جوزك قوام، قبل ما الضرة تبان

الحال أتقلب، شوفنا العجب

جوا البيت غفر وبرا عنب

المحزق والملزق والمقطع عالركب

تقليد أعمي جدًا وكمان قلة أدب

فجوزك بره شايف اللي يهز أجدعها شنب

يرجع البيت يلاقي عم عبده بالشنب

والله عيب عليكي

أفهمي أبوس إيديكي

وفي مقطع آخر تحت عنوان (حرام الأدب) كتبت تقول:

كوني ملكة في نفسك

ليكي عزة وكرامة

وكرامتك هيا شكلك

أرجوكي بلاش إهانة

مش يعني علشان ننضف

مقطعة البيجامة

ولا يعني علشان هنطبخ

ننسي الابتسامة

نقابله بالبصلة

والصحة العدمانة

مهو مش كل حياتنا

المحشي والبتنجانة

الزوجة العنيدة

احترام الزوجة وتقديرها شيء جيد، ويثري الحياة الزوجية، ويطرح فيها بذور المواءمة والتعايش والتفاهم، الذي يجلب السعادة والغبطة والسرور والراحة.. والذي لا يقدر زوجته، ويعاملها كما يُعامل أي قطعة من الجماد والأثاث التي يجدها في بيته، خاطئ سيء التصرف ضال الفعل والفطرة، فالمرأة دومًا تحتاج إلى أن تشعر بكيانها كإنسان، وكثيرات منهن لو مسهن شعور الإهمال والتجاهل والازدراء، يتولد فيهن داء العند، وتتحول حياة بيوتهن إلى صراع مشتعل في كل كبيرة وصغيرة،

إن الله تعالى قدر المرأة، وجعلها مسؤولة تمامًا مثل الرجل في التكاليف وتحمل المسؤولية وعبء الحياة، تحمل ما يحمله الرجل، فهي شريكته ورفيقة عمره، وليست كائنًا بهيميًا زائدًا لا عقل له ولا اختيار ولا إرادة، يقول تعالى:(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)[1]

إن الاضطراب والخلل والغليان وكثير من الأوبئة، تُصيب الحياة الزوجية حينما يبتلى الرجل بالمرأة العنيدة التي تذهب للشرق كلما ذهب للغرب، وتذهب

---

[1]- سورة الأحزاب

للغرب كلما ذهب للشرق، فهي دائمًا تُخالفه وتُناطحه، ولا تتفق معه أو تنزل على رأيه أو ترضى بقراره، وساعتها وأمام هذه الحالة المتكررة، لا يمتلك الرجل إلا الغضب العارم، والإصرار على التحدي لهذا العند الذي يراه جرحًا لكبريائه كرجل وسيد وقيم وكافل للبيت والأسرة.!

وبعيدًا عن هذا الحكم الشكلي كان لابد للرجل أن يُدرك شيئًا هامًا، فالقصة ليست هدرًا لكرامته، أو محاولة لإلغاء دوره السيادي في البيت، وإنما هناك أسباب خافية ولّدت هذا العند، وتسببت في ظهوره وتمرد صاحبته، ولابد له أن يبحث عنها، ويكشفها ليعالجها، قبل أن تستفحل وتصير طبعًا مزمنًا في شخصية الزوجة، لابد من علاج هذه الخصلة الذميمة حتى تعود الزوجة لحلبة الحوار والتفاهم من جديد، لتتذوق مع زوجها جمال الحياة التي يسودها هدوء عقلي وذهني وتجانس واتفاق.

إن الزوجة العنيدة في الغالب، هي التي خضعت لظروف نفسية أو اجتماعية ساقتها لهذه النتيجة المفزعة، أو أنها في أصل تكوينها؛ قد درجت وربيت على الكبر والعناد، والحالة الأولى يمكن علاجها، أما الثانية فإن اللوم الكبير يوجه لوالديها وأسرتها الذين لم يعرفاها، ويلقناها معنى أن تكون زوجة وسيدة بيت، وصاحبة أسرة، لم يلفتاها لما في كلمة (حاضر) من سحر أخاذ تملك به عقل الزوج وتأسر بها قلبه، أما حينما تُعارض وترفض وتناطح رغبة زوجها، فإنها تسلك أسرع السبل لهدم بيتها وخرابه، بعد أن هدمت حبها في قلب رفيقها ابتداءً.!

يقول علماء النفس: إن العناد صفة موجودة في الرجل والمرأة لكنه أكثر وضوحاً عند المرأة، فهو السلاح الوحيد الذي تدافع به عن نفسها أمام قوة الرجل واستبداده بالرأي أحيانًا، ولأنها مخلوق ضعيف لا يقوى على الصراع الخشن تلجأ إلى الرفض السلبي لما تراه لا يتوافق مع أسلوبها ومشاعرها فيترجمه الزوج على أنه عناد وتبدأ المشاكل.

ويرى البعض أن عناد المرأة أخطر أسرار جاذبيتها، وتستخدمه بدرجات متفاوتة لإثبات وجودها أو لتلفت النظر إليها، والرجال يحبون عناد المرأة الممزوج بالدلال فقط

إن الرجل في أحيان كثيرة يريد أن يشعر أنه رجل، فلماذا تبخلين عليه بهذا الشعور؟! لماذا لا تُشعريه بأنه السيد المطاع، وملك البيت، والآمر الناهي؟ وهي السمات التي توافق طبيعته كرجل، وهي الطبيعة التي تسعد في الوقت نفسه طبيعتك كأنثى.! أشعريه دائمًا أنه ملاذك وأمانك وملجأك، وأنه لا قيمة لكِ من دونه، وأن رأيه وحكمته وقراره فيه الصواب الكامل، وعين العقل والحكمة المنشودة، إنك بهذا يا سيدتي الزوجة، لا تهدمين كبرياءك، ولا تغتالين وجودك، أو تقزمين من شخصك، وإنما أنتِ بكل وضوح تجلبين السعادة لبيتك، وتملكين قلب زوجك، وتبنين بيتًا هادئًا تقوم أركانه وعماده على الحب والود والتقدير والتفاهم.

إن الصدام والعناد لا يولد إلا الشرر والنيران، وكثير من المشكلات تحتاج منا أن نتعامل معها برفق ولين، وتقديم بعض التنازلات التي تستدعي الهدوء والتفكير السليم لنخرج بقرارٍ رشيد.

ليتنازل كل طرف للآخر، حتى تمر العقبات في بيوتنا بهدوء، أما إذا تكررت صور العناد، فهي كما قلت: حالة مرضية لابد أن نبحث لها عن علاج فعال.!

يقول أحد الكتاب النابهين: "أعرف زيجات فشلت لأن الزوجة أرادت أن تفرض صورة الزواج كما تخيلته على زوجها، ثم وجدت الزوج غير قابل للتغيير، فالمرأة لا تستطيع أن تخلق زوجها من جديد، وإنما الذي تستطيع أن تفعله، أن تلائم نفسها مع زوجها، فتضحي بقليل من طباعها قبل الزواج، ويضحي الزوج ببعض امتيازاته كعازب، ومن مجموع هذه التضحيات يولد البيت السعيد"[١]

١ - الـ ٢٠٠ فكرة – مصطفى أمين

ارحمي عجز زوجك

جاءني يومًا هذا الزوج المسكين، وجلس إلي مهموم مبتئس، تكاد الدموع تفر من عينيه المحمرة الذابلة، شعرت أن في جوفه عاصفة هوجاء، أو محرقة تكاد ترمي بجحيم مستعر، يريد الرجل أن ينفس عن نفسه ويحكي، حتى يرمي ما في صدره من جبال الهموم التي أثقلته، تحركت سريعًا أمام ما شعرت به تجاهه، وحرصت أن يجلس ويهدأ ليقص علي ما به، ظنًا مني أنني أخفف عنه حدثًا عارضًا أو أزمة وقتية، ولكن المسكين كانت نكبته مزمنة متأصلة متجددة.! اقتربت منه ومسحت على جبينه، وربت على كتفه، وقلت له: أخي الحبيب، افتح لي صدرك، وأطلعني على همومك، حتى أفرج عنك ما أنت فيه، وأسريك في حزنك، وأشاطرك بعض حِملك، وبدأ المسكين الحزين يروي ويتكلم وشفتيه ترتعشان، أو قل ترتعدان من هول ما سيرويه من آلام وشجون تعج بالحرقة والعذاب. !

بدأ المسكين يتكلم وخده المحمر تستبيحه دمعة فرت من بين عينيه، فقال لي: زوجتي ساخطة على الحياة معي، تعيرني كلما رحت أو غدوت بفقري وقلة حيلتي، وتقول لي: روح شوف فلان ناصح عنك ازاي؟ و بيشتغل ازاي؟ و بيجيب القرش من الهوى ازاي؟ روح شوف جارنا اللي راكب عربية آخر موديل، وعنده عمارة ٦ ادوار، روح شوف أخوك اللي عنده محلات و بيتاجر في كل شيء، روح شوف مهنيين نسوانهم ازاي، ومرات كل واحد فيهم لابسة دهب أد ايه؟!

هكذا يا صديقي دائمًا ما تضعني زوجتي في موقف عصيب بالمقارنة مع غيري، ولا تراعي فقري وعوزي وظروفي، وتريد مني أن أصنع لها معجزة، حتى أكون مثل فلان وفلان، بينما هي أرزاق قسمها الله تعالى على خلقه، وليس بمقدوري أن أصنع المستقبل أو أتحدى القدر حتى أصل إلى ما وصل إليه غيري.!

إنها يا أخي تطعنني في رجولتي؛ حينما تذكرني دائمًا بالعجز من حيث لا تشعر، ولا أعرف أمام كلماتها التي تنزل علي كالسياط المُلهبة المؤلمة، أن أنظر في وجه أبنائي الذين يرون من جحيم كلماتها صورة أبيهم تضعف وتهتز، فيفقدون احترامه ومهابته والثقة فيه،

إنها زوجة لا تشعر ولا ترحم ولا تصبر، لا تؤمن بالقناعة، ولا ترضى برزق الله، وتعترض على كل شيء، وتستقل كل جهد، إنني أحيانًا يا عزيزي أهيم على وجهي في الطرقات كلما تذكرت لهيب كلماتها ولفحها العاصف، وفي إحدى المرات، كادت أن تدهسني سيارة لم أنتبه لها، لأن عقلي شارد، وتفكيري مذبوح، وذهني مهموم مشلول، بتعييرها وتبكيتها وتأنيبها الذي يُمرض ويؤذي ويميت، قبل أن يُحبط ويحزن.

حتى إخوتها الغلاظ الأغبياء، الذين كنت يومًا أظنهم إخوة لي لم تلدهم أمي، ذهبت أشتكيها إليهم، فإذا بهم يقفون في صفها، وينسبون الحق لها ويجترؤون عليّ كما تجرأت هي من قبل.

كما لا أستطيع أن أصف لك يا صديقي هذا اليوم الذي تصادمنا فيه حتى علا صوتنا، وسمع الجيران رجالاً ونساء، وجاؤوا يشاهدون جرأتها علي وصراخها في وجهي، وتعييرها الذي لا تكف عن تكراره، الكل يشاهد ما بين

شامت مسرور، وراثٍ لحالي محزون، لا أستطيع أن أصف لك كيف بكيت في ذلك اليوم وعزت علي نفسي؟ حينما سمعت النساء يلمنها في فعلها ويقلن لها: بالراحة على الراجل شوية، كدا عيب بكرا تفرج.؟!

لا تظن يا صديقي أنني ضعيف وغير قوي على إسكاتها وإخراسها، ولكن الأمر أبعد من ذلك بكثير، فإنني كلما هممت بتأديبها والبطش بصفاقتها، تذكرت علتي الأساسية، وأن المشكلة وهو فقري وقلة حيلتي، فإذا بي يُصيبني ضعف شديد لا أستطيع أن أواجهها حتى بمجرد بالكلمات.! وماذا لو قابلتها بحدة وأظهرت عليها جبروتي، ألا ترى وقتها أن شبح الانفصال والطلاق سيخيم على البيت ويتشرد أبنائي؟

كم أشعر بضيق شديد يُشقِي في نفسي معنى الحياة، حينما أرى الناس يسارعون إلى بيوتهم وزوجاتهم وهم سعداء مسرورون، بينما أنا كاره للبيت، أعده أبغض الأمكنة إلى قلبي وأكرهها إلى نفسي، وأتحاشى الورود فيه لأن به ما يُذكرني بعجزي وضعفي.!

هل تعلم يا عزيزي، أن إلحاحها وسخطها دفعني يومًا لأسرق حتى ترضى وتكتم فاها عن أذيتي؟! نعم، فكرت في ذلك، ولولا بقية من إيمان أيقظتني من غفلتي وهزمت في نفسي داعي الشيطان في الوقت المناسب، لكنت من المجرمين الآثمين.!

عقدة المرأة!

لست عدوًا للمرأة ولا أحب أن أكون عدوا للمرأة، ولم أرغب يومًا أن أتقمص هذا الدور الذي يجافي ناموس الكون ويعادي العنصر البشري ويضاد الفطرة الإنسانية، فقلمي دائما ينطق باحترامها وفكري يقر بتقديرها ويؤمن بقيمتها ودورها الفاعل في الحياة، ولعل هذا ما أفضت في شرحه وأظهرته في كتابي الأخير (كوني أما عظيمة) ،لكن إيماني بهذا الدور لا يمنع أبدا أن أنتقد فريقا نسويًا يقدم صورة ناشزة وشاذة عن طبيعة المرأة ،ويحاول أن يخرج بها عن الإطار الذي حدده الله تعالى وما وضعه لها من معالم وسمات تتصف بها وترتسم في هيأتها.!

كان صديقاي يومًا يتحدثان عن زميل لهما في رحلة للعمرة تأخر بعض الشيء عن الحافلة وعطل المسافرين بعد انتهاء عمرتهم، وعندما حضر كان المتوقع أن يلومه الناس ويعيبوا عليه تصرفه وتسببه في تعطيلهم هذه الدقائق المعدودات، ولكن ما حدث جعل الناس يشفقون عليه بدلا من أن يعيبوه، وجعلهم يدافعون عنه بعدما كانوا ممتعضين منه.! فما أن وصل الرجل حتى قامت زوجته تصرخ في وجه وتسبه وتهينه وتصيح أمامه لأنه تأخر عن الركب وجعلهم ينتظرونه، كانت الزوجة حادة عنيفة أو ما نسميه بالعامية (رداحة وشلأ) وهناك تعبيرات عامية أخرى تليق بوصفها لكن أدبي والخلق الذي جبل عليه قلمي يمنعه أن يطرحها للقراء بمداده.! وأمام هذا البركان العاصف الذي يقذف بالقاذورات والقبائح، كان الزوج صامتًا كسيرًا حزينا ضعيفًا عاجزا لا

يستطيع أن يردها أو يُسكتها أو يُهديء من ثورتها المنحطة.! وتطوع الناس في هذه اللحظة وتدخلوا وقالوا لها: لا يصح ما تفعلينه ،أخفضي من صوتك، عيب كبير أن تصرخي في وجه زوجك، لكن المرأة كانت كلما أسكتوها كلما زادت في عنفوانها وقسوتها وكلما ارتفع صوتها زئيرا وصراخا ،تماما كالنار التي كلما زادوها وقودا كلما زادت حريقا ولهيبا واشتعالا.!

وأمام هذا الموقف إياك أن تتعجب من هذه الصورة لهذه الزوجة الشرسة القاسية، وإنما العجب في المقام الأول من هذا الزوج الخانع العاجز الضعيف الذي سمح لها ابتداء أن تستأسد عليه وتمسح رجولته بـ(أستيكة) ويصل غلوها معه أن تُهينه أمام الناس ، وتمسح الأرض بكرامته وكبريائه.!

وأمثال هذه المرأة كثر، حينما تجد الواحدة منهن الطريق مفتوحا والمناخ مهيأ مؤهلا لأن تركب وتتسيد وتصير كلمتها هي النافذة على زوجها في البيت ، وتتقمص دور الرجل وتنتزعه منه بلا رحمة، ولا ينقصها إلا أن تأمره أن يلبس ملابسها أويغطي رأسه بالطرحة، ويقضي أعلب وقته في اعداد الطعام بالمطبخ.!

وقديما ذكرت أنه لا مانع للمرأة أن تتسلط على الرجل وتنزعه حقوقه وتتعالي عليه عليه وتكون لها الكلمة الكبرى في البيت وشؤون الحياة، لكنها مع هذا تكون ذكية حصيفة حكيمة، تمنحه حقوقه وصلاحياته أمام الناس فلا تقلل منه أو تهينه، وإنما تمدحه وتُثني عليه وتظهر للدنيا كلها أنه الأسد الهصور والجبار الذي لا يقف أمام إرادته شيء.! أما أن تتعمد إهانته وتحقيره وتتلذذ بذلك أمام الناس، فالمسألة هنا شيء آخر وتصور مختلف.! فبعض الناس يتهم هذه الزوجة بأنها سافلة منحطة قليلة الأدب منعدمة الحياء والأخلاق، ولكن

حقيقة الأمر، أنها معقدة، وأنها تفك عقدتها بعد أن وجدت سبيلا للتنفيس عنها أمام بنات جنسها ورجالهم ، وكأنها تريد أن تقول للرجال هذه رجولتكم التي تتفاخرون بها وتعتقدون أنها أفضل من أنوثتنا، ها هي أمرغها أمام ناظريكم في الوحل، وأكسر شوكتها في حضوركم ،ها أنا أجعلها طائعة ذليلة أمام قسوتي وشدتي.!

ولعل هذه الصورة لهذه الزوجة المستأسدة المتجبرة من أكثر الصور التي تثير حفيظتي ولا أكاد أطيق رؤيتها وتستفز مشاعري حتى أنني لا أستطيع السكوت عليها لو رأيتها ،لأنني أشعر وقتها أن هناك شيئا غير طبيعي، وأن هناك انقلابا في نواميس الكون وطبيعة الخلائق،لكن غيرتي ما تلبث أن تهدأ قليلا كلما تذكرت أنها المشكلة لا تعدو أن تكون عقدة نفسية وقعت هذه المسكينة فريسة لأعراضها ،وبدلا من الغضب عليها والسخط على سلوكها نحاول أن نجد لها علاجا ،أوأن نعالج هذا الزوج المائع ونساعده في الحصول على رجولته، لأنها السبيل الأكبر لعلاج عقدة زوجته ،فحينما تجد زوجها أمامها رجلا بمعنى الكلمة ، فلن تتجاسر أو تتجرأ أن تقترب من رجولته أو تسرق منه دوره ،!

وكثير من الزوجات تكمن داخلهن هذه العقدة النفسية والتي لو وجدت إحداهن القرصة لخرجت على الدنيا كالمارد المتوحش ،! لكنهن يقابلن أزواجا أقوياء يكبتون فيهن هذه العقدة ، ويردون المرأة لطبيعتها وأصلها ويخرسون في جوفها هذا النداء الشاذ الذي ترفضه الخلقة وأصل التكوين، ولعل أكثر حالات الفشل الزواجي يرجع لعملية التصادم بين الشخصيتين، فالزوجة تريد أن

تكون لها سلطة، والرجل يرى أن هذه السلطة تتعارض مع وظائفه كرجل وكافل وزوج وقيم،

وإذا بحثنا عن أصل هذه العقدة لوجدنا أن مجتمعاتنا هي السبب وطبائعنا هي التي خلقت مثل هذا العوج، فحينما يولد الولد تهلل له الدنيا وتفرح به ويبارك الناس كبيرهم وصغيرهم لأبويه ،وحينما تولد الأنثى يغتم الناس ويود الأب لو أنه عاد للجاهلية الأولى ليئد فتاته ،! ومن هنا خرجت الفتاة وهي تشعر أنها غير مرحب بها ، وأنها مهضومة الحقوق مهيضة الجناح، وهذه العقدة ذاتها هي التي دفعت الأستاذ توفيق الحيكم أن يُهاجم المرأة في أدبياته ، وقد ظن البعض أن الرجل عدو للمرأة وأشاعوا عنه ذلك، لكنه كان مُحب لها مشيدا بها في كثير من أعماله ، ولكنه فقط كان ضد هذا التمرد الذي تقوده بعض النساء ،وكان مما قال : "لدي إيمان أن المرأة في أحيان كثيرة لديها قدرة على الكفاح أكثر من الرجل وكل ما أنكره عليها هو هذه العقدة المرضية المستولية عليها ، ورغبتها في محاكاة الرجل إلى درجة مضحكة في بعض الاحيان ، فإذا لبس البنطلون لبست مثله ، وإذا احترف عملا جعلت همها أن تقوم بنفس العمل لا لشيء إلا لتثبت انها ليست أقل قدرة منه،وعلى المرأة أن تكتشق نفسها وتتعرف إلى عناصر أصالتها هي،"

الزوجة الجاحدة

نعم تمامًا، إنها تلك الزوجة التي تكفر بكل خير وبر وإحسان وإكرام وعطاء يقدمه لها زوجها، حتى لو أنه أتى لها بنجمة من السماء، أو قدم لها كما يقولون لبن العصفور، فإنها تستقل كل جهوده، وتهزأ بكل جوده، لأنها لا يملأ عينيها إلا التراب، ومثل هذه الزوجة الجاحدة المنكرة، تقتل السعادة في بيتها، وتملأ حياة زوجها بالاضطراب، وتُصيب قلبه بمشاعر النقص والتقصير،

أغدق عليها أيها الزوج ما شئت أن تغدق، واغمرها بألوان الثياب والزينة، وأمطر عليها هدايا الذهب والفضة، وحفها بالنعيم والرفاهية من كل جانب، اجعل حياتها شبيهة بالجنة، صيرها كأنها ملكة، واجعل تحت قدميها الخدم والحشم، افعل المستحيل لإرضائها وإشعارها بالنعيم والراحة والرقي، لكنك مهما تفعل وتقدم وتعطي وتمنح، فإن كل جهدك وعطائك ضائع مردود عليك ولا قيمة له، لأنها ببساطة، جاحدة بالنعيم، كافرة بالإحسان، لا يعجبها شيء ولا يرضيها بذل.!

وياله من شعور مرير حينما تقضي أيامك في العمل والجد والكفاح، حتى تُحصِّل مالاً تحقق به طموحها وأملها، وبعد كل هذه المعاناة، لا تسمع منها كلمة شكر واحدة، أو تشعر فيها بنوع من الاستحسان والامتنان، إنه شعور مُحبط يجعل صاحبه تمامًا كهذا الذي رمى ماله في ماء النهر، بعد أن تعب عليه وحصله بالجهد والعرق والعناء!

إن العيش مع هذه الزوجة، لا يُصيب بالإحباط وحده، وإنما يجعل الحياة كلها سوداء مليئة بالهموم والمنغصات، ومثل هذه المرأة غالبًا تنظر إلى غيرها، وتغير ممن هي أحسن منها حالا ومقامًا، دون أن تراعي قدرات زوجها وإمكاناته.! فهي لا تهتم بذلك، وإنما همها الكبير أن تكون أفضل من صديقتها، ولديها من الحلي والزينة واللباس أكثر مما لدى قريباتها، وهكذا كلما ذهبت أو جاءت، تشتعل في نفسها نار الغيرة، ولا تجد غير هذا الزوج المسكين، من تنفس عليه وفيه نارها المحرقة، التي تقتل فيه كل معنى جميل، وهو يحاول جاهدًا أن يسد حاجتها ويلبي طلباتها التي تعلو عليه وتعجزه.

وليته يُحمد أو يُشكر بعد ما قام به من بطولة وإنجاز، وإنما هو دائمًا فقير وبخيل وعاجز وممسك، ولم يقدم لها أي شيء في حياتها معه، ولم يعطها ما كانت تتمناه ولم يحقق لها أي طموح كانت تتوق إليه وترجوه في حياتها.!

نعم، هكذا نجد لغة الجحود، أسهل لغة تتقنها بعض النساء، وكلماتها هي أيسر ما تستعمله من كلمات، فتترك الزوج وهو مقتول بآلام خستها وقلة أصلها وكفرانها المهول.!

لقد توجه المعصوم صلى الله عليه وسلم بندائه النبوي إلى النساء، محذرًا لهن من مثل هذا السلوك الدنيء، فعن عبد الله بن عباس قال صلى الله عليه وسلم: (إني أريت الجنة، فتناولت عنقودًا، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، وأريت النار، فلم أر منظرًا كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بكفرهن، قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير،

ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى أحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيت منك خيرًا قط.)[1]

وإليكم هذه القصة الخالدة في التاريخ، والشاهدة بجلاء كيف تنسى النساء كل فضل وإحسان مع أول لفحة للعاصفة، لتظل شاهدة وبقوة على طبع كثير من النساء حين يجافين خلق الوفاء، كان (المعتمد بن عباد) حاكم أشبيلية في منعة وعز وملك وأبهة ونعيم وسلطان لا حدود له، لكنه ما لبث أن انقلب عليه الزمان، وتنكرت له الأيام فأبدلته مكان العز ذلاً، ومكان الملك أسرًا، وهوانًا وانكسارًا، عقابًا على خيانته للإسلام وقتاله للمسلمين، واستعانته على إخوانه في الدين بالنصارى الكافرين، بُغية الحفاظ على عرشه وملكه، وإرضاءً لأطماعه وأنانيته وغروره، فكانت هزيمته في عام ٤٨٤هـ على يد الكتائب المرابطية، حيث قُبض عليه وعلى نسائه وأبنائه وبناته، وكانوا نحو مائة، وأرسلوا إلى إفريقيا في مدينة أغمات، وأسكنوه في بيت وضيع بدائي ووضعوا عليه حارسًا غليظًا، وقيدت رجلاه في الحديد، حتى لا يخرج من البيت، ومُنع عنه المال والأقوات، فأصبحت بناته حفاة عراة، يغزلون الغزل ويبيعونه في الأسواق، ولا يجدن من يشتريه منهن، وأصبح الناس يتصدقون عليهم بالمال والطعام والملابس.

و كانت زوجته اعتماد، التي عشقها ولم يكن يصبر على فراقها ساعة، حتى أنه من فرط حبه لها اشتق لنفسه اسمًا من اسمها، وغمرها بالنعيم والعز والرفاهية التي تروى فيها قصص تشبه الأساطير، وكان منها (يوم الطين) حين

---

[1]-رواه البخاري ١٠٥٢.

رأت جوارٍ يبعن اللبن، وقد شمرن عن سُوقهن وسواعدهن، يخضن في الطين، فحنت إلى ماضيها حينما كانت جارية قبل أن ينتشلها المعتد من عالم الجواري، لتكون ملكة وسيدة مطاعة، وقالت له: اشتهي أن أفعل أنا وبناتي كفعل هؤلاء الجواري، فما كان منه إلا أن بادر الى تلبية طلبها الذي أرهق خزينة الدولة، وكلفها أموالا طائلة، حيث أمر بالعنبر والمسك والكافور، فسحق بماء الورد، ليكون في هيئة الطين، وأحضر القرب والحبال، لها وبناتها الأميرات، فحملن القرب والحبال ورفعن عن سوقهن، وخضن في طين العنبر والمسك والكافور،

وبعد ذهاب هذا النعيم، وفي يوم من هذه الأيام التي باتوا يتجرعون فيه الذل والقهر ألوانًا وأشكالا، غاضب المعتمد زوجته فقالت له: لم أر منك خيرًا قط.! فقال لها: ولا يوم الطين؟! فصمتت وبكت واعتذرت، ولم تتحمل المرأة هذا الذل الكبير، فماتت مقهورة محسورة، فحزن عليها المعتمد ومات بعدها بثلاثة أشهر.! ويرحلا عن الدنيا ولا يتبقى من ذكراهما سوى يوم الطين، الذي إن شئت أن تسميه بيوم السفه، أو يوم السرف، أو يوم الحماقة، أو يوم البطر، فلا غضاضة من ذلك لأنه يليق بكل هذه المعاني.!

ولعل القصة وفحوى المقال، لا يُنسينا أبدا صورة هذه المرأة القانعة الشاكرة المقدرة المقتصدة في بيتها، والتي تؤمن أن الحياة تقوم على الحب والشراكة والتعاون والتقدير لجهود الزوج، التي تعلم أصالة الحب في نفسه، وأنها رفيقته في البناء، متجنبة كل ما يحاول أن يمس أخلاقها من الأثرة والأنانية التي تفسد الحياة، وتجلب الشقاء بينها وبين من وهبته عمرها وكيانها، كما لا ننسى أبدًا حين تقابل تلك الجوهرة التي لا يقدرها ثمن، بزوج ظالم

جاحد منكر لكل جهودها ودورها وتضحياتها في حياته، حتى وقف على قدميه، من تدبير وتربية وإخلاص وسهر طاعة ومساعدة وللأسف لم تجن منه إلا كل نكران ومعاملة مجحفة ظالمة، لا ترضي الله ولا تُعجب الأسوياء.

الزوجة الخروبية

يا بخته ويا سعده ويا هناه مليون مرة، من رزقه الله بزوجةٍ واعيةٍ عاقلةٍ ناضجة مدبرةٍ مقتصدةٍ في أمور المعيشة وتدبير متطلبات البيت، وتعرف بدقة قيمة القرش في مسيرة الحياة، وتضعه في مكانه الصحيح، ولديها استعداد لأن تحرم نفسها من أجل بيتها وأبنائها وزوجها!

وبالمقابل نقول: يا شؤمه ويا حظه العكر، من رُزق بزوجة مسرفة خروبية لا بركة في يديها، تنفق المال وتهلكه يمينًا وشمالا، وتصرفه في كماليات وتفاهات فارغة، لا قيمة لها في صُلب الحياة، أو تبذله في متعتها الخاصة، دون أن تفكر في أي التزام آخر، كالإنفاق على ملبسها ومظهرها وجمالها وشياكتها، وكل ما يُساعد في إظهار أنوثتها التي تتحول إلى لعنة على بيتها وزوجها، حين تنفق آلاف الجنيهات التي يكد الزوج المسكين في تحصيلها بالعرق والجهد، حتى يرسم الابتسامة والرضا على وجهها ووجوه أبنائها.!

بل نراها تذهب كل أسبوع، أو كل يومين للكوافير، حتى تضع على وجهها صنوف المساحيق، وتصبغ شعرها بالألوان، لتظهر سنيورة جميلة مدللة بين صديقاتها، اللاتي تتفاخر عليهن جميعًا بهذا السرف الظاهر، والتكلف الباهظ.!

إنها الزوجة الخروبية التي تُعد أكبر بلاء في الحياة، وأشد لعنة في الدنيا، فالله تعالى قد نزع البركة من عقلها وتفكيرها واختيارها قبل أن ينزعهم من يديها.!

هذه الزوجة النفعية الأنانية، هي أكبر نموذج للزوجة الفاشلة في حياتها الزوجية، لأن الأنانية التي تعبأت بها نفسها ومزاجها، لن تفكر في أسرة أو أبناء أو زوج مسكين يحتاج أن تنظر إليه برفق وعطف، ويتمنى زوجة تُقدر ظروفه، وتعيش معه في حدود طاقته ودخله المتواضع، ولا تكلفه فوق قدراته وإمكاناته.

أعتقد أن هذه الزوجة لا حل لها إلا الطلاق، وإن حاولنا أن نبحث عن الحل والعلاج، لأنها ابتداءً لم تفهم معنى الزواج، أو تعي قضيته السامية، فهي إن منعتَ عنها المال، وأمسكت عليها في الانفاق، لن ترضى وستملأ دنياك سخطًا ونفورًا وتحتضن النكد وتلازمه صبحًا ومساء، وإن أطلقت يدها في مالك، فلن تتركه حتى تجلب مكانه الفقر والاحتياج.!

والصواب والأسلم وبكل صراحة، أن تُطَّلق أو أن ترضى أيها الزوج المسكين بالنكد صبغة تلون حياتك وعيشك وبيتك.

إنني أنصح الشباب المقبلين على الزواج أن يشرحوا لمخطوباتهم مواقفهم المادية، وحدودهم المالية، وقدراتهم في المعيشة، حتى يكونوا على نور وبصيرة من مستقبلهم، وأن يُنشئوا بينهما عقدًا وعهدًا على الاقتصاد وتجنب السرف المهلك،

والأسلم من ذلك كله، أن يبتعد الخاطب عن الفتاة الخروبية، ويتجنب لعنتها وشرها.!

ما أروع تلك المرأة التي تقف بجوار زوجها في محنته، وتتحمل معه ضوائقه المادية، إنها بهذا ليست مجرد زوجة وفية أصيلة، وإنما هي في حقيقتها بطلة مناضلة، انظر لذات النطاقين كيف كانت تقف بجوار زوجها، وتتقن

خدمته وتتعب في شؤون البيت، فقد كانت (رضي الله عنه) تقوم بخدمة فرسه، تحمل النوى فوق رأسها وتعلفه وتسقيه، إذ لم يكن في بيتها خادم في ذلك الوقت، فقد كان الزبير لا يملك إلا فرسه وسيفه الذين يجاهد بهما.

كانت (رضي الله عنها) تخدم فرس الزبير، وهي من هي في شرفها وعلو قدرها، وفي زماننا هذا تستنكف الكثير من النساء عن خدمة أزواجهن و رعاية أبنائهن، ويتركن هذه الأمور للخادمات.

إن بعضهم يرى أن الفراغ النفسي والعاطفي وعدم الانشغال بعمل، هو أكبر دافع لإسراف الزوجة وميلها للتبذير بلا سبب، إضافة إلى إحساسها القوي بابتعاد زوجها عنها وشكوكها الكثيرة عن تحوله العاطفي، وخمود الحب في قلبه وتخوفها من الارتباط بأخرى، ما يشعره بأنها امرأة غير مرغوبة، ومن هنا تبدأ الصرف والبذخ، وشراء كل ما تطوله يدها، ولا يُشبعها إلا الاقتناء والاكتناز؛ لدرجة أنها أصبحت تشترى بلا تمييز أو حاجة حقيقية للشراء، وكأنها تطلق بمشترياتها رصاصات تنبيه تصيب قلب الزوج الحاضر الغائب ليراها ويحسبها.

"بقرة" تدرُ المال والحب!

كما أن بعض الزوجات يمكن لها أن تعيش في الحدود التي تسمح بإمكانات زوجها راضية صابرة وهانئة سعيدة تقدر حاله وتصبر على ظروفه، ولكن الله تعالى يرزقها بأم تحرضها على التمرد والإسراف، وكنز المال من وراء زوجها، والزن على أذنه في شراء كل ما تشتهيه نفسها، حتى تجعل منه كالحيوان الذي يدور ليل نهار في الساقية بلا راحة أو رحمة.

وزوجة أخرى كانت تعيش في حرمان وفقر في بيت أبيها، ولما رزقها الله بزوج طيب؛ يسر الله له في الرزق، أخذت تدفعه لكل ما يشبع رغباتها ونهمها النفسي، في شراء كل ما غلا ثمنه في سرف باهظ، وفي نفس الوقت يملأ الحقد قلبها، فهي تحثه على جفاء أهله وإخوته، وأن يقطع عنهم كل ما يحتاجونه من مساعدات أو هدايا، ولو قيس ما يطلبونه أمام ما تنفقه من مال زوجها لما حصل الربع أو الثلث.!

والمشكلة أن الزوجة الخروبية المسرفة قد لا تدرك ولا تفطن لهذا المرض العضال الذي استقر في نفسها، وإذا ما لفتها الزوج إليه، وبين لها أعراضه، فإنها لا تلتفت لعلتها بقدر ما توجه له اللوم وتتهمه بالبخل والتقتير والتضييق عليها، وتكون البدانية الأكيدة لبيت غير سعيد.

وبعض خبيرات العلاقات الزوجية وضعت بعض النصائح الهامة للزوجة الخروبية المسرفة والتي يمكن أن تعالج هذا الداء المدمر لبيوت الزوجية وهي:

١- لا تكوني أنانية، وتقبلي حياتك ووازني بين ما تأخذين وما تعطين تشعرين بالأمان

٢- انتبهي فأسلوب إسرافك الزائد واستنزافك لأموال زوجك، يجعلك متبلدة المشاعر تجاه مشكلاته

٣- احذري قلقك وخوفك من المجهول، يدفعك لشراء المزيد وتخزينه كمحاولة لتأمين مستقبلك، وهذه إشارة لقلب غير آمن

٤- أسلوبك المعُيب في الانتقام من زوجك، يصيبك بالقلق والأنانية والعدوانية، ويجعلك مُتمركزة حول ذاتك لا ترين من حولك

٥- عادة الإسراف واستنزاف أموال الزوج، ليست من الصفات الوراثية، بل هي صفة اكتسبتها وتعلمتها من معاملة والدتك، وربما كنت تطبقين المثل الذي أوصتك به "قصقصي ريشه ليلوف بغيرك"، أو تلك المقولة الباسمة: "الزواج شركة يقوم فيها الرجل بالتدبير والمرأة بالتبذير"

٦- الزوجة المسرفة نموذج موجود، ولكن لا يشكل ظاهرة، والزوج يتحمل جزءًا من مسؤولية تماديها في طلباتها دون اعتراض أو رفض

الزوجة الحساسة

شيء يخنق ويؤرق ويصيب بالضيق والكآبة، حينما يُصاحب المرء إنسانًا شديد الحساسية متقلب المزاج، يؤول كل كلمة، وكل لفظة، وكل حركة، وكل همسة، بتأويل خاطئ وتفسير سلبي أعوج مزعج، ويحاول المرء لكي يسلم من هذا التعكير، أن يتجنب أمثال هؤلاء الأصحاب ويبتعد عنهم حتى يعيش في سلام نفسي وطبيعة آمنة.

لكن كيف يكون الحال، لو كان مرض الحساسية المفرطة، يعاني منه أحد الزوجين؟! لا شك وبكل صراحة، أن الحياة بينهما وفي بيت الزوجية، ستتحول إلى جحيم مستمر، وتنقلب إلى صراع متواصل، وخلافات قائمة لا تنتهي، مما يجعل الكثيرون يتصورون؛ أنهم لكي يتفادوا هذا الجو الفاسد من القلق والتوتر، لابد أن يعيشوا في حذر وترقب ويقظة لكل حرف يخرج من أفواههم، أو حركة تقوم بها أجسادهم، حتى لا يفسرها الطرف الحساس تفسيرًا سلبيًا سيئًا، أو بوضوح أكثر، يعيش المرء في بيته، الذي من المفروض أن يجد فيه راحته، وكأنه إنسان مقيد مكتف، لا حرية له في حركاته ولا كلامه، وتلك عيشة مرة مؤلمة، فالحرية إذا لم يجدها الإنسان في بيته، ومع شريك حياته، فمع من وأين يجدها إذن؟!

إن الحياة الزوجية لا تخلو أبدًا من المنغصات والأزمات، والمشادات اليومية، والتي تفرض علينا أن نتعامل معها بشيء التغاضي، وقدرٍ كبيرٍ من التغافل، حتى تمر السفينة بسلام، وترحل الأزمات دون أن تترك شروخًا تؤزم

النفوس، أما إذا سمحنا للحساسية أن تنموا وتتعاظم دوافعها ودواعيها والاستجابة لها، فإن هذا يُعد اختيارًا منا وإيذانًا لحياتنا، أن تقف وتشتعل وتغلي وتفور مراجلها.

إن أحد الزوجين قد يدرك عِلته، ويعلم من نفسه هذا الداء الوبيل، ويبصر خطره على شريك حياته، وتأثيره على مستقبل الحياة الزوجية، ومع ذلك، يُصر عليه، وينميه في نفسه، ولا يقبل أبدًا أن يتخلى عن ممارسته، وهناك الحساسون الذين يصبرون ويمررون ويتحملون ويخزنون، حتى تأتي اللحظة المناسبة للانفجار، ولكن بعد صبر طويل.! وتتصاعد المشكلة أكثر وأكثر، لو كان أحد الطرفين الزوج أو الزوجة ممن يحبون الهرج والمزاح والهزار، ويكثرون من الكلام والتعليق والنكات، التي تمس مرض الحساسية من حين لآخر، ليتحول المرح إلى ترح، والسرور إلى نكد وشرور.

إن الأطباء النفسانيون، يؤكدون أن الحساسية المفرطة ترجع في أصلها لتكوين الإنسان ونشأته وتربيته، التي ألمت بها ظروف جعلته بهذا الحال، وقد يرجع الأمر أحيانًا للقيم والمبادئ والطرق والسلوكيات الحياتية؛ التي يحيا بها صاحبها، ولا تسعفه على فهم الآخر، فيلجأ للظن الخاطئ والتحسس من كثير أفعاله وأقواله وحركاته، وتفسيرها بتفسيرات ملتوية مظلمة.!

ولعل الرجل قد يُتيح له خروجه ودخوله واحتكاكه بالناس، أن يدرب نفسه على التخلص من هذه الحساسية، التي يتسم بها أهل العزلة والانطواء، حيث يكبر عقله ووعيه ويتحلى بكثير من تكبير الدماغ، والتعالي على السفاسف، والتغافل وغض الطرف عن كثير مما يدور حوله، أما المرأة فوضعها يختلف،

وحظها من هذه المؤثرات ضئيل قليل، حيث تجد ما يساعدها لتظل حبيسة هذه العقدة، وهذا المرض الذي يتفشى ويتمكن منها، ولا تجد ما يخففه ويحد من إلحاحه.

ونحن نقرر أن حساسية الزوجة، من أكثروأصعب الأمراض تقابل الزوج، ولا يستطيع التعامل معها أو التكيف في إطارها، فليس من المعقول أن يعيش مع هذا الرادار الذي يترقبه، ليلتقط منه أي كلمة أو هفوة ليفسرها كما يحلو له، فالرجل يريد أن يعيش في بيته ليجد فيه الراحة والسكينة، ويتصرف بطبيعته وسجيته وطباعه التي جبل عليها، كما أن أكثرهم يرفض محاولة العلاج، إما لجهله بطرقها أو مللله منها فهو يقول: لقد تزوجت لأسعد وأهنأ، لا لأعالِج وأداوِى، وكم أصاب بصدمة كبرى، حينما أقول كلمة أو أفعل موقفًا، أقصد منه إعلام زوجتي عن حبي وتقديري لها، فإذا بها تلجأ للتفسير الخاطئ، والتأويلات الفاسدة، والظنون الضالة.

يحكي أحدهم فيقول: (تزوجت المرأة التي كنت أحلم بها، وكنت سعيدًا جدًا معها، ولكن بعد مضي فترة من الزمن، تبدل الحال، حيث اكتشفت أنها شديدة الحساسية وسريعة الزعل؛ ولو من أتفه الأسباب والمواقف، وتستمر في غضبها وخصامها أكثر من أسبوع، حتى ولو حاولت ان أقدم اعتذاري على ما بدر مني، رغم أن الموضوع تافه لا يستحق الزعل.!

وفي بعض الأحيان أمزح معها بكلمه، فتفسر الكلمة في خيالها بصورة خاطئة، وتبدأ في مشوار الزعل والخصام مرة أخرى، ويصل الأمر إلى أنها لا

تتكلم معي أبدًا، حتى أنني أكلمها فلا ترد، وأقول في نفسي: لابد أن أقدم تنازلاً وأحاول معها بكل الطرق، ولكنها ترضى بصعوبة.؟)

وفي هذا الجو المشحون والمتوتر، على الرجل أن يؤمن بأنه لا يستحيل شيء، وأن هذه الزوجة ربما لم تفهم طباعه وتحتاج لفترة زمنية حتى تتعود على أسلوبه وسلوكه في الحياة، ومن ثم يجتهد في تحري الخطوات التي وضعها بعض الخبراء كطرق لعلاج الزوجة الحساسة والتي كان منها:

*أن يراعي هذه الزوجة ولا يفتعل معها ما يثير عصبيتها، فلا يرفع صوته أو يُظهر طباعه الحادة، فهي شخصية هادئة، وذات حس مرهف، تحتاج إلى المعاملة بهدوء وحكمة.

* يجب أن يُراعي الزوج أن زوجته دائمًا تشعر بأن شيئًا ناقصًا فيها، وأنها لا تتمتع بأي ثقة في النفس، ولهذا عندما ينتقدها من حولها، تتأكد أكثر بأنها تُعاني من نقص ما، وتفقد الثقة في نفسها أكثر.

*المرأة الحساسة غالبًا ما تكون رومانسية بطبعها، تحب الهدوء وتحب أن تشعر بحب من حولها واهتمامهم، كما أنها تكره العنف سواء كان بدنيًا أو لفظيًا، ولو شعرت المرأة الحساسة بحب شخص وقربه منها، فإنها يمكن أن تتقبل منه أي انتقادات، من باب أنه يُحبها ويريد الأفضل لها، وهو دور الزوج الذي يشعرها دائمًا بالحب والحنان والقرب والود.

* الزوجة الحساسة في حاجة دائمة ومستمرة للشعور بجوار زوجها، وقربه ومساندته لها في كل شئ، وهي عندما تكون في حاجة للمساعدة، لن تخبر إلا الشخص الذي تشعر معه بالأمان والراحة، الشخص الذي تشعر أنه

يتفهمها، وأن أسلوبه في نصحها يُناسب شخصيتها، لهذا لو شعرت بالأمان تجاه شخص سوف تسمع لنصائحه، وتستطيع بعد ذلك أن تثق في نفسها، ومن الممكن أن يعلمها كيف تتفهم من حولها بصورة صحيحة.

* من الضرورة إدراك الزوج أن زوجته الحساسة، ليست اجتماعية فهي بطبعها لا تكوّن الكثير من العلاقات، وقد تمتلك صديقة واحدة أو اثنتين على الأكثر، لأنها لا تثق في من حولها بسهولة، والمناخ الأنسب لها، أن تُعاشر وتُصاحب من يتفهم طبيعتها، وتنسجم معه وتقبل نصائحه، ولا يكون بينها وبينه حاجز نفسي، أو اغتراب اجتماعي، ولو أنها انخرطت في المجتمع وانغمست بين الناس لضاقت نفسها بكثير مما تسيء فهمه.

ولعلي في النهاية أقرر وبكل صراحة، أن الزوجة الحساسة مقدور عليها، يستطيع الرجل أن يحايلها أو يجاريها ولو طال الأمر أن يكذب عليها، وربما يتطرق بعضهم أن يستخدم العنف مع هذه النوعية التي لا تعجبه، حتى ترتدع عن داء الحساسية الوبيل،.أما حينما يكون الزوج هو الحساس، فإنه يكون من أعظم البلاءات التي تُصاب بها الزوجات، فهذا الإنسان المعتل، تتحول الحساسية عنده من مشاعر مرهفة، إلى مشاعر مريضة، وعقدة نفسية مزمنة، تحرق قلب المرأة، وتظلم حياتها، وتعكر بهجتها وتسوقها كل لحظة لتمنى الموت، ولا نملك إلا أن ندعو لها أن يُخلصها الله أو يخفف عنها.

لا تضربي زوجك

لقد سمعت في تراثنا الأدبي بيتين من الشعر أرفضهما تمامًا وأخجل أن مثلهما وردا فيه وينتسبان إليه يقول فيهما القائل:

ما للنساء وللكتابة ** والعمالة والخطابة

هذا لنا ولهن منا** أن يبتن على جنابة!

وأرى أنه كلام يحمل تعدٍ صارخ على الإنسانية، وإهدارًا عنيفًا لكيان المرأة التي أقامت الحياة في جناب الرجل، وإذا كان هؤلاء يلغون أي دور للمرأة إلا دورها الجنسي، فإن شيخنا الغزالي له كلام رائع يرد به على أمثالهم، ويشرح لهم معنى حكمة المرأة التي قادت بها شعوبًا وأممًا وليس بيتًا وزوجًا فيقول في تعليقه على حديث (لن يفلح قوم) حيث يقول: «كل ما أبغى هو منع التناقض بين الكتاب والآثار الواردة، وبين الحديث والواقع التاريخى، إن إنجلترا بلغت عصرها الذهبى أيام الملكة فيكتوريا وهى الآن بقيادة ملكة ورئيسة وزراء - يقصد وقتها مارجريت تاتشر- وتعد فى قمة الازدهار الاقتصادي والاستقرار السياسي، فأين الخيبة المتوقعة لمن اختار هؤلاء النسوة؟!

وأنديرا غاندى شطرت الكيان الإسلامي شطرين- بنجلاديش وباكستان- وعاد المارشال يحيى خان يُجرجر أذيال الخيبة! لقد أجرت أنديرًا الانتخابات بنفسها وسقطت، ثم عاد قومها فاختاروها، أما المسلمون فكأنهم متخصصون فى تزوير الانتخابات! أما مصائب العرب التى لحقت بهم يوم قادت جولدا مائير

قومها، فحدث ولا حرج، القصة ليست أنوثة وذكورة، إنها قصة أخلاق ومواهب نفيسة، امرأة ذات دين خير من ذي لحية كفور!!».

لقد حشد التاريخ صورًا لنساء حكيمات عاقلات، استطعن أن يضعن بصماتهن في دنيا الناس ويشكلن التاريخ، ومن حقنا ومن حق النساء أن يتعرفن على شخصياتهن ودورهن، ليكتسبن منهن الحكمة قبل أن يكتسبن القيادة، وينظرهن لرشدهن قبل أن ينظرن لرتبهن، وإذا كانت من النساء من يستغللن ضعف الرجل وضمور شخصيته لتقوم بدوره أو تسرق مكانه، فهناك من تعدت طورها وتجاوزت مقدارها لتضرب زوجها وتعتدي عليه،

ذكر الشيخ (علي الطنطاوي) في مذكراته وقد كان قاضيًا في الشام: أن امرأةً دخلت مع زوجها عليه وكانت شجاعةً مهيبةً صارمة، وكان زوجها جبانًا رعديداً فاشلاً، فاختصمت معه ثم سبّته ثم طلّقته في المحكمة، ويروي بعضهم أن رجلاً دخل على أحد العلماء الكبار، وكان الرجل نحيفًا ضعيفًا هزيلاً قصيرًا وشكى من ظلم زوجته ومن سلاطتها، وربما أنها تمد يدها عليه (يعني تضربه)، فأمره الشيخ بالصبر والحلم والأناة، فأخبره أن صبره قد انتهى، فأشار عليه الشيخ بفراقها إذا تعذّرت الحياة، فقال الرجل: ولكن يا شيخ أحبها بل أعشقها ولا استطيع فراقها، فاتصل بها الشيخ ودعاها للحضور في يوم آخر، قال شاهد العيان: فحضرت المرأة وكانت متحجّبة، وكانت طويلة بدينة كأنها دبابة روسية مصفّحة، أو كاسحة ألغام أمريكية وبدأت تتحدث عن زوجها بغلظة وفظاظة، لها زئير كزئير الأسد، وفحيح كفحيح الحيّة، وصار أمامها كأنه القط فوعظهما

الشيخ وأمرهما بحسن العشرة والرفق، وخرجت المرأة وزوجها معها مرةً يقفز أمامها ومرة يمشي خلفها.

وحدّثنا أحد الأعيان: أنه، كان بجوارهم رجلٌ ضعيف الشخصية، وكان هزيلاً نحيلاً، وله امرأة لها صولة وجولة ولها مزرعة، فكلما اختلفا واشتدّ النزاع قامت المرأة فطرحت زوجها أرضًا وضربته أبكاسًا ولكمته عدة لكمات، وربما بركت على صدره وأعطته كفوفًا على خده، قال جارهم: ومرةً سمعنا الصوت والشجار فدخلنا مزرعتهما، فوجدنا المرأة قد وضعت زوجها على ظهره وجلست على صدره تلطمه، قال: فانقذناه منها وجبرًا لخاطره وسترًا عليه، أخذنا نقول له: اتقِ الله يا فلان هذه المرأة الضعيفة لا يجوز لك أن تمد يدك عليها، قال: فصدّق الرجل وتشجّع وأخذ يقول: والله لولا أنني أؤدبها لطاشت عليّ، ولولا حزمي معها لخرجت عن طاعتي، فعجبنا من جبنه وحُمقه وغبائه.

وعرفنا رجلاً في الخمسين من عمره، أدخل الله في قلبه الرعب من زوجته، فكان لا يخرج من البيت ولا يسافر ولا يدعو أحدًا ولا يبيع ولا يشتري إلا بإذنها، وإذا اتصلت أجابها، وهو وجل خائف مرتبك ولو كان في اجتماع أو مجلس، وكانت تهدده وتُغلظ له القول، فيترفّق بها ويقسم لها الأيمان المغلّظة، ويكرر عفوًا يا أم فلان عفوًايا أم فلان.!

ومما يضحك، أنه كان في فرنسا لوحتان في مكان عام كُتب على إحداهما: يقف هنا الذي يطيع زوجته، وكُتب على الأخرى يقف هنا الذي تطيعه زوجته، فوقف الكل أمام اللوحة المكتوب عليها الذي يطيع زوجته، ووقف رجل واحد فقط أمام اللوحة المكتوب عليها: الذي تطيعه زوجته، فسألوه ما السبب في

أن يقف وحده خلاف الجميع أمام هذه اللوحة فقال: لأن زوجتي أمرتني أن أقف هنا.!

وقد تكون المرأة شديدة وعفية وهي لا تعلم ذلك، وقد أراد أحد الحكماء أن يلفتها إلى تلك القوة في نفسها، قوة العقل لا قوة اليد والبطش، ففي بعض الأساطير القديمة أن امرأة جاءت لأحد الحكماء، تطلب منه أن يجد لها طريقة ليحبها زوجها حبًا شديدًا وتستطيع ترويضه وتملك قلبه، فقال لها: إن ما تطلبينه يحتاج تكلفة ومخاطرة ولن يتحقق إلا إذا أحضرت شعرة من رقبة الأسد، وبالفعل ذهبت المرأة وهي تفكر في كيفية الحصول على الشعرة المطلوبة، واستشارت من تثق في حكمته، فقيل لها أنّ الأسد لا يفترس إلاّ إذا جاع، وعليك أن تُشبعيه وتُحسني التعامل معه، حتى تسلمي من شره، وذهبت في اليوم التالي للغابة وبدأت ترمي للأسد قطع اللحم وتبتعد واستمرت في ذلك، إلى أن ألفت الأسد وألفها مع الوقت، وجاءت اللحظة التي تمدد بجانبها الأسد وهو لا يشك لحظة في محبتها له، ووضعت يدها على رأسه، وأخذت تمسح على شعره ورقبته بحنان وأخذت الشعرة بهدوء وأسرعت إلى الحكيم والفرحة تملا نفسها؛ بأنها ستتربع على عرش زوجها للأبد، وعندما شرحت للعالم خطتها لترويض الأسد قال لها: "إنّ زوجك ليس أكثر شراسة من الأسد، فافعلي معه ما فعلت مع الأسد لتملكيه".

الزوجة المُفركِشة

حينما يبتلى المرء فيما يبتلى من بلاءات الحياة، بزوجة تحرضه على أهله، فإنه يكون في شر حال، لأنه بهذا يخسر كثيرًا ويفقد كثيرًا، فقبل أن يخسر أهله ويفقد ذويه، فإنه قد خسر نفسه وخسر دينه وخسر القيم وخسر الفضيلة وخسر المروءة وخسر الرجولة وخسر البر والإحسان.

أرأيت ماذا وكيف فعلت فيك هذه الزوجة؟ وكيف جلبت عليك الوبال يوم أن استجبت لتحريضها لك على أبيك وأمك وإخوتك وأهلك وعشيرتك؟ الذين ربوك وأطعموك وكبروك وعلموك وحرموا أنفسهم كثيرًا من أجلك؟

قد نعيب فعلها ونذمها، لكن العيب الحقيقي فيك أنت.! هب أنها مخطئة فكيف ولماذا تطيعها وتسمع لها في هذا الباطل؟ أو تسمح لها مجرد الحديث فيه والحوم حوله، مهما كنت أيها الزوج تحب زوجتك، ومهما كانت أثيرة محظية عندك، فلابد أن تُعلِمها وتُعلِّمها: أن أهلك مقدسون في حياتك، وأنك لا يمكن أن تفعل ما يغضبهم أو يحزنهم، أو يهجرونه بسببه، يجب أن تُخبرها أن من أكبر وظائفها في حياتها معك، أن تعينك على البر بأهل والإحسان إليهم وإكرامهم وحبهم.

وأنها لن تنال حبك واحترامك إلا بأن تقرب دائما بينك وبينهم.

ما ألعن هذه الزوجة التي حرمت زوجًا من أهله الفقراء الذين فعلوا المستحيل من أجل تعليمه وتربيته، فلما كبر واشتد عوده وصارت له وظيفة مرموقة ومال وفير، أجبرته على خصامهم والبعد عنهم لأنهم كما صورت له:

يريدون سرقته والسطو على ماله والتآمر على حقه، وأخذت بعقلها المريض تفتعل المشكلات وتستغل الأحداث، لتثبت وتقدم الدلائل على كلامها، حتى حققت ما تريد من قطيعة وشحناء، ويجلس الأب والأم والهم الكبير يعتصر قلبيهما، وإحساسهما المرير بهذا الجحود الذي لم يريا مثله في الحياة، والضربة الموجعة، أو الطعنة الغادرة، التي لم تأتهم من عدو، وإنما من ولدهم الذي عاشا له، وبذلا له كل راحة وهناء، على حساب متعتهم وراحتهم وهنائهم.

قد تكون المشكلة في غيرة الزوجة أو قلة حكمتها أو خوفها على مستقبل أسرتها، أو سوء أخلاقها، لكن لابد أن تقف وتتعقل وتبصر غباء ما هي فيه، فليس في الدنيا أبشع من أن تقود زوجها إلى هذا الجحود، الذي حتما سيرتد إليها في المستقبل وعلى يد زوجات أبنائها، إنها تقوم بدور الشيطان الذي يفسد العلاقات بين الأهل والاقارب، ويُحطم ذات البين بين الرجل وأهله.

انظر ما يقوله أحد المختصين عن هذه المرأة اللعينة: "يعد السبب الرئيس وراء هذه الظاهرة هو التنشئة الاجتماعية الخاطئة للزوجة التي تعلمت هذه التصرفات عند أهلها، وتحاول نقلها وتطبيقها في أسرة زوجها، وهناك أيضا الغيرة والشخصية العدوانية التي لا تحب أن ترى الناس سعداء ومتفقين، إلى جانب الرغبة في الانتقام من الزوج بسبب مواقف معينة، ما يجعلها تفتعل المشاكل، ويعد رضوخ الأزواج لزوجاتهم في مثل هذه التصرفات هو الذي يخلق عند الزوجة هذا التمرد، الذي يجعلها لا تتورع عن القيام بهذه التصرفات المرفوضة خلقًيا واجتماعيًا وديناً، ولابد أن يكون هناك توجيه دائم منذ الصغر لخطأ مثل هذه السلوكيات.

كما تشير إحدى المختصات في العلاقات الزوجية بأن اللوم يقع على المرأة وليس على الرجل، فقد لا يكون الزوج محكومًا بمثل تلك التصرفات من زوجته، إلا أنه يلجأ إليها تفاديًا للمشاكل، فالمرأة هي التي تجمع العائلة وهي التي تفرقها، ومن السيئ جدًا أن تصبح المرأة عنصر تفريق بين الزوج وإخوانه، خصوصًا وأن ذلك قد يحدث أحيانًا لسبب لا ذكر له، كأن تكون هذه المرأة لا تطيق "سلفتها". وكلها تصرفات لا تصب في مصلحتها ولا في مصلحة أبنائها الذين هم بحاجة إلى بيئة أسرية صحية، كي ينشؤوا بطريقة صحيحة، فإذا هي لا تفكر في نفسها فلتفكر على الأقل في مصير أبنائها، وإن أطاعها الزوج في شرها، فلن يكون سعيدًا، ولن يحمل لها المشاعر الطيبة، لأنه بتصرفاتها هذه تنغص عليه حياته، وهنا قد يضطر لشراء راحة البال بالانصياع لرغبتها، أو قد يصل علاقاته بغيرها من ورائها، وفي كلتا الحالتين ليس الأمر في صالحها."

ومن التجارب الحياتية ما تحكيه إحدى النساء عن زوجة شقيقها الذي كان يتميز بحبه الشديد لأشقائه وأسرته وتفانيه في التعامل معهم، القيام على مصالحهم، حيث دخلت تلك الزوجة حياتهم لتغير الكثير من أمن الأسرة واستقرارها، فمنذ الأسبوع الأول لوجودها في البيت بدأت تثير نقاط الخلاف حتى ولو كانت صغيرة، فكل ما هو معتاد عليه في البيت ويشكل جزءاً من حياة الأسرة تحاول أن تتدخل به لتغييره، وحينما لاحظت ارتباط شقيقها بأسرته بدأت بمحاولة منعه من زيارتهم بشكل دائم بحجة الانشغال في أمورهم الخاصة، وحينما رفض شقيقها ذلك لارتباطه الشديد بأشقائه أضربت هي عن الزيارة كنوع من أساليب الضغط، ثم بدأت باستخدام أسلوب الشكوى

الدائمة من الأخوات وزوجات الإخوان حتى تسببت في الكثير من الخلافات والمشاكل، نجحت من خلالها في إبعاد شقيقها عن محيط أسرته لفترة طويلة، لكنه عاد محاولاً ترميم العلاقة الأسرية من جديد.

وحقا كما قيل: إن من سمات الزوجة الصالحة، أن تعين زوجها على بر أهله فهل تسمع أو تعي تلك الزوجة التي تشتعل النار في صدرها عند ذكر أهل زوجها، أو تستشيط غضبا لو أنه أحسن إليهم وأبرهم؟

عليها أن تعلم أنها مريضة نفسيًا، أو أن إيمانها هزيل، أو أن خشيتها من الله ضعيفة: فلتتق الله ولتحسن لأهل زوجها، فهم من ربوه وأنموه وصيروه رجلاً يسعد حياتها، فليس من الإحسان ورد الجميل أن تنشئ العداوة والبغض والهجر بينه وبينهم.

بكرا النكد بكرا

زوج معقد، كل يوم وعلى الغداء تحديدًا يجلب الغم والنكد، ويفتعل مشكلة وخناقة كبيرة مع زوجته؛ من أجل (طبق السلطة).! فمرة مِلحه ناقص، ومرة لم تُكثر فيه من الطماطم، ومرة زادت فيه من الخضروات، ومرة أكثرت من الخل، ومرة أخرى لم تضعها في طبق زجاجي، المهم أن طبق السلطة تحول في حياة الزوجة إلى منبع جحيم، ومصدر كئيب للهموم والغموم والعراك اليومي، الذي ربما ينتهي بضرب الزوجة وسبها ولعنها وحرمانها من طعام الغداء.!

وهناك زوج لا يعرف كيف يبتسم! ولو وقف أمامه أكبر المهرجين والنكاتين، فإنه يظل جامد التقاسيم، صُلب الوجه، كأنما خلق من حديد، أو قد من صخر كلكلٍ عتي، وإذا كانت الابتسامة في وجه الصديق صدقة كما أشار المعصوم صلى الله عليه وسلم، فكيف بها في وجه الزوجة التي تشاركك العمر والحياة؟!إن إيجاد السعادة في بيت الزوجية رسالة ومهمة وغاية سامية، لابد من العمل عليها وتحصيلها، وأي تفريط في جلبها هو تفريط في المسؤولية والواجب.!

كان هناك زوج يشتكي من زوجه ويقول: كلما خرجنا للترويح عن الأولاد أو ذهبنا لأحد المطاعم والمتنزهات، وخرجنا من كبت البيت وضيقة، تفتعل زوجتي النكد والهموم، وتختلق الغم والمشكلات لأتفه الأسباب، ويتحول وجهها

لطاقة مُلهبة من العبوس والبؤس والضيق، الذي يكاد ينفجر فيمن حوله، حتى صِرنا نحرم أنفسنا من الفُسح والترفيه تفاديًا لهذه الحالة النكدية.!

وذكر لي بعضهم نكتة مشاعة عن زوجةٍ نكديةٍ، اتفق معها زوجها وقال لها في يوم ما معترضًا: كل يوم نكد نكد؟ طيب خليها يوم ويوم، فاتفقت معه على ذلك، فدخل عليها في اليوم الذي لا نكد فيه، فوجدها تغني وتترنم، فقال لها ماذا هناك بشرينا؟ فقالت له وهي تغني: بكرا النكد بكرا، أي أنها تنتظره على شوق كبير.!

حفظ الله بيوتنا من الهموم والغموم، فهي التي تجلب الفقر والضيق والخراب، لأنها تبدد السعادة، التي إذا ذهبت ذهب معها كل شيء جميل يربط القلوب والنفوس.

هناك بيوت يمتلك أصحابها الأطيان والعقارات، وتيسرت لهم كل أسباب الغنى، لكنها وللأسف تفتقد السعادة الزوجية، ويفتقر بيتهم للضحكة والبهجة، ويتخطون مرحلة الفقد إلى مرحلة الخلق والابداع أي خلق المشكلات والإبداع في جلب النكد والمشكلات.!

وهي لا شك حالات نفسية مرضية، يجب أن تعرض على الأطباء النفسيين حتى يعالجوها من هذا الداء الوبيل، داء النكد، فهناك زوج لا يكون مرتاحًا ولامسرورًا ولا ينبت نموه، إلا حينما يعيش في أجواء من الهموم والأحزان وافتعال المشكلات، حتى يُصيب من يعيش معهم بالنكد والقهر والكبت، وهناك زوجة دائمة الشجار والخناق وافتعال المحن التي تجعل الزوج يمزق شعره، ويضرب برأسه في الحائط من عنفوان الغضب والاستفزاز،

والمصيبة الكبرى أنهما يصدران للحياة أبناءً معقدين، ونماذج من نفس العينة النِكدية، لتقوم بدورها في الحياة في تغذية مسيرة النكد، حينما تبني بيتًا جديدًا دعائمه وأسسه من الهم والبؤس، لأنهم يحاكون ويقلدون ما تربوا عليه في بيت يفوح نكدًا وهمًا.!

ولقد وقف رسولنا الكريم على نبع المشكلة التي شعر بخطورتها حينما قال لعمر رضي الله عنه: (ألا أخبرك بخير ما يكنز المرءُ؟ المرأة الصالحة؛ إذا نظر إليها سرَّته، ،.)

ولعل في الحديث إشارة واضحة للمرأة أن تلزم السرور، وأن تفعل كل ما يجلب السرور، لأنه أمر مربوط بالصلاح، الذي هو النجاة في الدنيا والاخرة، ولا يقتصر الأمر على كونها جميلة تسر الناظرين.

لقد بدأنا الحديث عن الزوج النَكدي، لكننا أسرفنا في الحديث عن المرأة النَكدية، ولنكن صرحاء، لأنه الأعم الأغلب في حقها، حتى وإن كانت تتعرض لضغوط تولد فيها طاقة الغضب، فإن عليها أن تتحمل قدر المستطاع، ما يواجهها من ضغوط، لأنها إن واجهت وقاومت وردت واستفزت، تأزم الموقف وتولد الشَرر، وتطورت الأمور لحالة أسوأ، تنزع المودة، وتقتلع المحبة، وتحرق الألفة في قلب الزوج، أيتها الزوجة إن بيدكِ حلولٌ كثيرة، ونعرف أن الحِمل عليكِ قد يكون ثقيلا، ولكن حاولي أولاً أن تُغيري من نفسك، لتقضي على أساس الداء في ذاتك، ثم حاصري أسباب التعاسة في نفسك، وارسمي البسمة على وجهك، اتقني المُلح والمزاح والنكات المضحكة التي تجعل البيت في حالة

من الظرف الطريفة، كُوني دومًا رشيقةً مهذبةً عاقلةً في كلامك وخصالك وأفعالك، احذري العبوس والقنوط والتكشير والحزن.

هناك زوجة بها ما بها من الآلام، إلا أنها تبتسم دومًا حتى تجلب الفرح والمرح والسرور في بيتها ونفس زوجها، كما لا أعرف من أي نوع هذه الزوجة التي حباها الله بالنعم في الأبناء والزوج ويسر المعيشة والصحة والراحة والعافية ثم تتفنن في هدم حياتها الزوجية لأنها من عشاق النكد، وهو لا شك من كفران النعم والبطر المعيب.!

ربما كان من الزوج ما يسوؤك من أخلاقه وطباعه التي تنكرينها ولا تستطيعين التكيف معها، ولكن كل إنسان فيه أخطاء وسلبيات، ومن الحكمة الملحة أن ننظر للإيجابيات فيمن نعيش معهم ونعاشرهم، ولا يكن بصرنا جاحدًا حينما يتعلق فقط بما يحزننا وننكره.!

تعلمي أيتها الزوجة أن تغفري وتتغافلي وتسامحي ولا تجعلين حياتك تقف عند مشكلة حدثت أو سلوكًا صدر، انسي أخطاء زوجك، وارم بها في ذاكرة الماضي، ولا تذكريه بشيء منها، فقط ذكريه بأنه الكامل والجيد والمثالي والنموذج، ذكريه بأنه الرجل الأول وبطل حياتك، فالنفوس جُبلت على حب من مدحها وقدرها ورفع مقامها وشأنها، تعلمي كيف تصلين إلى قلبه، وتعلمي أن الوصول لهذا القلب وامتلاكه لا يكون إلا بالبسمة والبهجة، والسرور والفرحة والبشر والابتهاج، فهل تريدين أن تمتلكي قلب زوجك؟ أم أن النكد والغم والهم أحب أليك من حُبه ورضاه؟!

وأنت أيها الزوج لا تجعل بعض تصرفات زوجتك سببًا في العبوس والضيق وافتعال المشكلات الدائمة التي تُفسد الحياة، وعليك أن توجه فكرك ووعيك، إلى ما تحمله من إيجابيات تفتقر إليها كثير من النساء وقد قال صلى الله عليه وسلم: (لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر.)[1]

وقيل في شرحه: (قَوْلُهُ: لَا يَفْرَكْ نَفْيٌ فِي مَعْنَى النَّهْيِ، أَيْ لَا يَنْبَغِي لِلرجلِ أَنْ يُبْغِضها لما يرى منها فيكرهَهُ، لِأنه إِن كره شيئًا رضيَ شَيئًا آخر، فليقابِلْ هَذَا بِذَاكَ،)

ألا إن الحكمة والتعقل، حصن يحمي الحياة الزوجية أن تتهدم، وبيوتها أن تنهار، فلنأخذ حياتنا بالحكمة، حتى نُحافظ على من نحب ونُسعد من نُعاشرهم.

---

[1]- رواه مسلم

لا تكتمي دموعك

هل تعلمي أيتها الزوجة أن أنوثتك ورقتك ووداعتك، هي الطريق الأكيد لقلب زوجك، وأنها المفتاح السحري الذي تفتحين به مغاليق قلبه؛ إلى عالم الحب الفياض الذي لا ينقطع.؟!

كوني مدركة أنه لا يمكن للزوج أن يُقبل عليك، وهو يراك في مشاهد القوة والصلابة، أو يشعر فيك بشيء من الكبر والتعالي عليه، أو يجدك على الدوام جادة أمام مشاعره، عابسة في وجه عواطفه، تمامًا كما يعبس الأسد في وجه فريسته، ضعي في تقديرك دومًا أنه رجل، وأن قلبه قلب رجل، وأنه يريد أن يشعر بأنه الأقوى، وأنه الأقدر، وأنه السيد المطاع، والقائد المتبع، لا تنازعيه وظيفته، وتصارعين طبيعته، أشعريه دومًا أنكِ لا شيء بدونه، وأنكِ لا تستطعين العيش في غيابه، أظهري أمامه ضعفك وقلة حيلتك، وليس هذا الضعف الذي يمحو وجودك وإنسانيتك وكيانك وذاتك، ولكني أقصد به، ذلك الضعف الذي يستدر عطفه وحبه، ويولد فيه طاقات الحنان وأشعة الحب.

أعرف أنك امرأة، ولن يستصعب عليكِ فهم ما أريد قوله وأرمي إليه، فالمرأة ذكية نبيهة واعية مدركة محترفة لتلك الأمور، تفهمها جيدًا وتتقنها جيدًا، وتستطيع القيام بها أبرع قيام وأبهر أداء، يساعدها في ذلك طبيعتها كأنثى، وعواطفها كامرأة.

كارثة كبرى لو كنتي يومًا من هؤلاء المستقويات، أو أعجبك يومًا أن تتقمصين دور النساء المسترجلات، لأنك في هذه الحالة تهدمين وجدان زوجك، وتذبحين عواطفه تجاهك، وسينخلع من قلبه ومع الأيام وخطوة خطوة، أي تعلق بك أو شغف عليك أو اهتمام بوجودك.

ربما تغضبين وتسخطين وتحزنين من بعض أفعاله، ويسوقك الوهم يومها، فتظني أنك يجب أن تكوني أمامه قوية فتية عنيدة لا تنكسر ولا تنهزم ولا تتزلزل، ثم تحبسين دموعك، وتكتمين آهاتك، حتى لا يشعر فيك بشيء من الخضوع، ولعل هذا الهراء، وهذا الظن التعس، يسوقك للخطيئة في حقك كامرأة وزوجه، لأن الصواب، والذي يناسبك، ويوائم طبيعتك، وفي نفس الوقت يهد كبرياء الرجل، ويأتي أمامك خاضعًا معتذرًا منكسًا أعلام الرجولة، أن تُطلقي لدموعك العنان، فتهرول على خديك وكأنها تناديه أن يأتي ليجفف شلالها المنهمر.

أعدك بيقين كبير، أنه لن يطيق رؤية هذه الدموع، لو كان إنسانًا حي المشاعر، متوقد العاطفة والأحاسيس، حتى لو كنتِ أنت المخطئة، سيجفف دمعك، ويضمك إلى أحضانه، ويشعرك بدفء مشاعره وحضور عواطفه.

لا تظني أنك حينما تتفوقين عليه في التعليم، أو ترتفعين عليه في الوظيفة، أنك أقوى منه، وأنك يجب أن تكوني صامدة قوية في وجهه، ولو حدث هذا فإنه شعور شاذ في علاقة الرجل بالمرأة، وأسلوب يُدلل على أنك زوجة فاشلة، لا تفهمين معنى الزوجية وطريقة التعامل مع الرجل.

مرة أخرى أعيد وأكرر: إنني لا أدعوك لأن تكوني ذليلة مستعبدة، تمحين كيانك ووجودك، ولكن بقدر ما تدركين هذا الكيان، لا تنسي أو تتناسي أنك امرأة، وأنك أنثى، ولا تحجبي أبدًا دمعتك أن ترى النور، وتخرج من ظلام الجفون في وقت الأزمات، لأن كل دمعة منها ستذيل في طريقها كل شوائب البغض ونفايات النفور.

ما أروع هذه المقولة التي قرأتها يومًا ولعلها تقترب بقوة مما أريد قوله وتوضيحه: (كوني له دمية يكن لك طفلا) وأجمل منها ما قيل: (كوني له أمة يكن لك عبدًا)

(كوني له أرضًا يكن لك سماء)، إن بعض الزوجات تتكبر أن تكون طيعة لزوجها، أو ترغم نفسها على قراره واختياراته، وتظن أن هذا إلغاء صريح لشخصيتها، والحق أنها غبية لو ظنت ذلك، أو توهمت هذا التصور، لأنها بهذه الطاعة وهذه الاستجابة، تخلق معنى الانسجام بينها وبين زوجها، وتكسب قلبه ومودته، وتعلمه أنها مثله وشبيهة به، وجزء من هواه ومزاجه، فهي إذن لم تكن خاسرة لذاتها، أو ماحية لشخصيتها، وإنما هي فائزة كاسبة، فقط تحتاجين أيتها الزوجة في وقت العواصف لشيء من التأمل، وبصيص من التفهم، حتى تدركي هذه الحكمة التي تغيب عنك حينما تتصلبين في تعاملك مع زوجك.

في أوقات كثيرة يحتاج الزوج أن تعامله زوجته كطفل صغير، والمرأة أمام طفلها ومعه، تكون حانية رقيقة، تتحمل تعبه وعناده وشقاوته، وتلبي له مطالبه ولو كانت رغمًا عنها وضد ما تريد، فهي لا يسعها إلا أن تضمه لصدرها

وتمسح دموعه، وتكون له ذلك الأتون الذي يشع بالحب والحنان، فلماذا لا تجربين هذه المعاملة مع زوجك ولتنظري وقتها كيف تكون النتيجة؟!

أيتها الزوجة، لن تخسري شيئًا لو جعلت زوجك سيدًا مطاعًا، وقائدًا متبعًا، ولن تفقدي شيئًا لو جعلتيه الآمر الناهي في حياتك ومصيرك، لأنك لو قستي ما تكسبينه، لهان عليك كل ما تظنينه خسارة وضياع، ستكسبين قلبه، وتأسرين روحه، وتقبضين على عواطفه.

أعرف امرأة كانت كثيرًا ما تخالف زوجها في كثير من أحواله، فتقول له: مبحبش الجملة دي، مبحبش التصرف ده، مليش مزاج من كذا، مليش رغبة من كذا، روح لوحدك أن مليش مزاج، حتى جفا قلب الرجل وماتت عواطفه، وشعر أنه في الحياة وحده، وأن من اختارها شريكة حياته، أماتت هذه الشراكة في كل شيء، ثم كانت النهاية طلاق وفراق.

وأعرف زوجة أخرى غضبت من زوجها، ورحلت إلى بيت أبيها، ومرت شهور كثيرة من الهجر والبعاد، وهي تعاند والزوج يكابر، لا يتنازل أحدهما للآخر، ويومًا ما، جلست مع نفسها تتأمل حالها، وأخذت قرارها السريع، فحزمت أمتعتها وحملت حقيبتها وذهبت إلى بيت زوجها، ولما طرقت بابه، استقبلها زوجها بابتسامة حانية، وقبل جبينها، وضمها إلى صدره، وزال بزوال الفراق كل كِبر وعناد، لماذا؟ لأنها أشعرته بلهفتها عليه، وأنها لا يمكن أن تعيش بدونه، وأنها لانت أمام بعده، أشعرته بأنه القوي، وأنها الضعيفة، بأنه المنتصر، وأنها المهزومة، وهي المشاعر التي لا يُقدرها إلا زوج كريم الأصل والمنبت، عظيم الأخلاق، راقي التربية، سام في طباعه وإنسانيته، أما إن كان

طاغية جبارًا ديكتاتورًا جِلفًا، فإن هذا له تعامل آخر، وله شأن آخر لا مقام له في حديثنا الآن.

أيتها المرأة، إن الغرور والكبر أحيانًا وكثيرًا ما يدفعانك للعناد والقسوة، وامتطاء صهوة القوة، فيعلوا صوتك، ويشتد لفظك، وتديري ظهرك، وتلوحي بيديك! وبعد أن تقع الفأس في الرأس، وتشتعل النيران، تندمين وتبكين، وتؤوبين لحقيقتك الأنثوية الرقيقة الحانية العطوفة، ولكن بعد فوات الأوان.!

أتدري من هي المرأة الغافلة؟ إنها تلك المرأة التي تفتقد الرقة والحنان والأنوثة في تعاملها مع زوجها، إنها لا شك تخسر كثيرًا، وتجهل كثيرًا حينما غاب عنها هذا العنصر السحري الذي يأسر القلب ويملك الروح .من البلاء الكبير أن تكون زوجًا عاطفيًا رومانسيًا، وتُبتلى بزوجة جافية متصلبة، باردة في الحديث والحركة والتصرف والمشاعر، ويملأ البرود حياتها في كل شيء.! ومن البلاء الأكبر أن تفتقد المرأة صفة الحنان، لأنها بهذا فقدت معنى الأنوثة ومعنى كونها امرأة، فالشعور بالحنان هو السحر الذي يحول الرجل القاسي إلى رجل لين، والرجل الجبار إلى رجل رقيق، وذو الهيبة الطاغية التي تنخلع لرؤيته القلوب، إلى حمل وديع، يأنسه الناس ويألفونه، إنها خِلة تقلب الموازين، وتبدل الأحوال، وتغير كثيرًا من مشاعر الرجل التي تُسيطر على قلبه .ربما تكون المرأة جميلة وفاتنة، تسحر أعين الرجال بزينتها وبشرتها وجمال ملامحها، لكنك حينما تدخل في أعماقها تجد برودًا وقسوة لا تنسجم معها قلبك وعواطفك، وسبحان الله حينما يتحول هذا الإحساس بالانبهار والإعجاب إلى بغض ونفور !.بعض الناس

يستنكر على كثير من الرجال حينما يرى أحدهم تزوج بامرأة غير جميلة، لا تملك الكثير مما يتمتع به غيرها من الأنوثة والجاذبية، وذلك لأنهم لا يعرفون شيئًا ولا يدركون أن كثيرًا من الرجال يبهرهم الحنان أكثر مما يبهرهم الجمال، وأن احتياجهم للمرأة الحانية، تمامًا كحاجة الروح للجسد، وأنهم رأوا في هذه التي لا تعجبهم، معنى الجمال الحقيقي، جمال الروح وجمال القلب والحنان المفقود .هل تعلمي أيتها المرأة أن الحنان هو صمام الأمان لحياتك الزوجية، وهو الختم أو القفل الذي تختمين به على قلب الزوج فلا يلتفت إلى غيرك، ولا يفكر في سواك، بل يخجل كثيرًا من نفسه لو فعل شيئًا من هذه الأفاعيل، ليتذكر على الفور أنك إنسان حنون لا يستحق أبدًا أن يقابل بمثل هذا الجحود .أيتها المرأة التي تبحث عن السعادة الزوجية، كوني حانية في حياتك مع زوجك، تصنعي الحنان وتكلفيه وأدمنيه وأظهريه في حديثك وحركتك ومواقفك وحتى في صمتك وضحكك وبكائك، زلزلي قلب الزوج واشحني حياته بهذا الحنان ليكون في النهاية خاتما في إصبعك!.

دعها تثبت ذاتها

مازال هناك من يحمل بعض المشاعر السلبية للمرأة؛ فيرفض أي حديث عن حريتها ويأبى السماح لها بالعمل والخروج لتقول: ها أنا ذا، وتؤدي دورها في المجتمع، وتثبت ذاتها، وتشعر بكيانها في الحياة.

ونظرًا للظروف المادية القاسية التي يُعاني منها المجتمع، وتعاني منها الأسرة، فإن الزوج بنفسه، هو من يقوم للبحث لزوجته عن عمل، ويتمنى لها أي وظيفة تدر عليه ولو قليلًا من المال، يساعده على شقاء العيش وغلاء الحياة، ولا يرى في ذلك أي نوع من الحرج، ولا يفكر فيه أساسًا، لأن لسع المادة يكاد يعمي عينه وتفكيره.

ولكن، مهما قست الظروف واشتدت الأزمات المادية على بيت الزوجية، فإن فكرة عمل المرأة، لا تقبل مجرد الطرح أو التفكير فيها، لو كان الزوج من هؤلاء المفرطين في غيرتهم على زوجاتهم، والتي تسوقه لتحريم كثير من الحلال، وتغليب العادات والتقاليد، على ما أجازه الشرع وأباحه، ولم يثبت فيه أي مانع شرعي.

وحينما يقوم الزوج بمنع زوجه من فرصة عمل أتيحت لها، فإن الزوجة تشعر هنا بكبت كبير، وقهر لا حدود له، وتتخيل نفسها تعيش مع إنسان يريد قمعها، ولا يقدر وجودها ولا يحترم كيانها، ولا يعتبر أنها إنسانة لها كثير من الحقوق المقررة في الحياة، والتي أولها أن تنتج وتنجز وتبدع.!

ولعل هذه النوعية من الأزواج، نوعية ظالمة طاغية قاهرة، وكره الزوجة لزوجها، ينشأ أول ما ينشأ حينما ينسى هذا الزوج بأن زوجه إنسان، ويجب معاملتها بأنها إنسان، بالحوار والرفق والتفاهم والقناعة والرضا، فإذا تخلى عن هذه المحاور، فقد جلب لنفسه كثيرًا من المشكلات التي تحول بيته إلى بيئة جافة سبخة، تموت فيها جذور المحبة والوداد، فالزوجة حزينة تُعاني صِراعًا نفسيًا، ولا تجد من يشعر بها.

ونقول لأمثال هذا الزوج: اتق الله فيمن تعول، واتق الله في دينك أولا حينما انتهز أعداؤه هذه الأخلاق المتنطعة، والتصرفات المتشددة، وجعلوا منها فرصة للطعن فيه وتشويه حقائقه السامية، والادعاء الظالم بأنه يُهين المرأة، ويقهرها ويكبتها، ومهما حاولنا أن نثبت عكس ذلك، تأتي تصرفاتك كحائط الصد الذي يرد كل ما نقدم من حجج وبراهين، فالمرأة تحت يديك تئن وتتألم وتتعذب.

المرأة ليست شيئًا ضروريًا في الحياة، وإنما هي نصف الحياة، ولابد أن تنال حقوقها ونُقر لها كيانها، وأتعجب أننا في القرن الحادي والعشرين، مازلنا في بلادنا نتوسل للرجل أن يحترم المرأة، وأن يرتقي في علاقته بها، ويحسن تعاملها!

لقد عظم الإسلام من شأن المرأة وأكبر مكانتها، ولفت إلى دورها الهام والرائد في نهوض الأمة وصنع مستقبلها، ثم كان لها حضورها الملموس والمشهود في كل قضايا ومشكلات المجتمع، بل كانت تخرج للجهاد، الذي هو أشد الأعمال وأشق الواجبات، والتي لا يقوى عليها إلا الرجال، فكانت تداوي الجرحى، وتناول

النبل وتُعد الطعام والسلاح، وتشحذ همم الجنود الأبطال، وربما تقاتل في أحيان كثيرة، وكان لها رأيها الحكيم الحصيف، الذي ربما فاق آراء الرجال في رشده وتعقله، ولو أننا راجعنا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لوجدنا هذا التمثيل قائم في مشاهد كثيرة، ولتعلمنا مما نقرأ كيف رفع هذا الدين مكانة المرأة وأعزها؟

ربما يكون الزوج محقًا لو كان عمل المرأة الذي ترشحت وانتخبت له، يفرض عليها أن تحتك بالرجال بصورة فجة مبالغة، أو أن تكون البيئة التي تعمل فيها، بيئة غير آمنة لا تحفظ كرامتها أو تصون شرفها، وربما كذلك يعود عمل المرأة، بكثير من الضرر على بيتها وأسرتها وأبنائها الذين يحتاجون للرعاية والإطعام والتربية والشعور بكثير من الحنان والأمان الذي تملك الأم روافده ومنابعة، وهنا يجب أن تقف الزوجة مع نفسها وقفة صادقة، وتتأمل حالها ومصير أسرتها، وأن تدرك بما لاشك فيه أن وظيفتها الكبرى والأولى، هي بيتها، والذي ليس مجرد وظيفة أو مهنة وإنما هو رسالة وغاية.

وليس في تصورينا للبيت بأنه الوظيفة الكبرى، أي عدوان أو تجن على المرأة وحقوقها، ولكنه تأكيد لدورها الكبير، وانحيازٌ لمهمتها السامية، وتصحيحٌ لمسارها القويم، ولفتٌ لانتباهها لما يجب أن يقع عليه اختيارها.

وقد تشعر بالتضحية والحرمان، ولكنه سيكون شعورًا زائفًا، لو تأملت مسؤوليتها الجسيمة ودورها الفذ في مستقبل الأمة، والذي إن شعرت بمكانتها فيه؛ فإنه يتضاءل أمامه أي شعور آخر، وليس من المعقول أن تُجافي الأم فطرتها فتخرج إلى سوق العمل وميدانه فتشغل المناصب، وتحتل المواقع التي

تأخذ كل وقتها واهتمامها، بينما أبناؤها في البيت مهملون يفقدون الرعاية والاهتمام، فإن استطاعت أن تمنحهم ما يحتاجون، فأهلا بها ونعمت، وإن لم تستطع، فقد ضيعت وفرطت في أمانتها الكبيرة.

يقول جول سيمون: «المرأة التي تشتغل خارج بيتها تؤدي عمل عامل بسيط، ولكنها لا تؤدي عمل امرأة»

وهذه (كاتلين ليند) زوجة رائد الفضاء الأمريكي د. (دون ليزي ليند)تقول: "إنني أقضي معظم وقتي في البيت، وكسيدة فإنني أرى أن المرأة يجب أن تعطي كل وقتها لبيتها وزوجها وأولادها، ولازلت أذكر حديثًا لأحد رجال الدين ردًّا على سؤال أحدهم: إذا كان مصير المرأة بيتها فلماذا إذن تتعلم؟ فقال يومها لصاحبه: إذا علمت رجلاً، فإنك تعلم فردًا، وإذا علمت امرأة فأنت تُعلم جيلاً أو أمة،"

ثم تقول: "وأنا مسرورة جدًا من بقائي في البيت إلى جانب زوجي وأطفالي، حتى في الأيام العصيبة – وأقصد الأيام التي كنا في حاجة فيها إلى المال – لم يطلب مني زوجي أن أعمل، وكانت فلسفته أننا نستطيع أن نوفر احتياجاتنا الضرورية، لكننا لا نستطيع أن نربي أولادنا إذا أفلت الزمام من بين أيدينا"

إن الأم المعاصرة، فقد شُغلت اليوم بقضايا تحرر المرأة وعمل المرأة وشخصية وكيان المرأة، شغلها كل ذلك عن بيت المرأة، أكبر وأهم حقيقة في حياتها، أضخم وأجل رسالة تُقدمها لأمتها ووطنها ومجتمعها.

ولعل قصة ابنتي شعيب مع موسى عليهما السلام، توضح بجلاء موقف الإسلام الكلي والشامل من عمل المرأة، حين أباحه ولكن بضوابط وأطر

محددة، قال تعالى: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ)[1]

وبتأمل الآية المباركة نجد ما يلي:

١- في قولهما: أبونا شيخ كبير، إنما يسوقان علة خروجها من البيت، ويوضحان السبب الذي دعاهما للعمل، وهو عجز أبيهما وكبر سنه.

٢- لا نسقى حتى يصدر الرعاء، أي لا نزاحم الرجال، أو نحتك بهم ونعرض أنفسنا لما يضرنا، وإنما كان هناك شيء من التحفظ والتمنع الذي يحفظ مقام المرأة.

٣- ثم يأتي موقف موسى عليه السلام والذي يمثل موقف المجتمع الإيماني تجاه المرأة، والذي عليه أن يُحافظ عليها ويُنجز لها أمورها ومهماتها.

ومن ثم، يتبين لنا أن خروج المرأة للبيت لأحد أمرين، أن تكون معذورة لا عائل لها ثم تخرج على قدر الضرورة الملحة، وليس في هذا أي تضييق، وإنما المراد أن يتم الحفاظ عليها وصيانتها من أي ضرر يلحق بها.

---

[1]- سورة القصص : ٢٣

الفرار من الشجار

تقول إحدى المعلمات الخبيرات في التعامل مع الأطفال: (إن السلوك الخاطئ للوالدين ونزاعهما أمام أطفالهما واضطراب الأسرة، وضعف الأواصر بين الزوجين يدفع الطفل إلى الشعور بفقدان الأمن، لينظر إلى الحياة نظرة متشائمة، مُضيفةً أنه يتصف الأطفال الذين ينمون ويترعرعون في ظل هذه الأسرة بالهزال، واصفرار البشرة وانهيار المعنويات، وكذلك الإصابة بتخلف دراسي، والتخلف بسلوك سيئ في التعامل مع الآخرين، مبينةً أنه من خلال واقع تعاملها مع الأطفال، أصبحت تستطيع التفريق بين الطفل المستقر وغير المستقر، حيث إن الأطفال الذين يعيشون في بيئة متزعزعة، نجدهم لا يشعرون بالحيوية أبدًا، ولا ينامون نومًا مريحًا، وتنعدم رغبتهم في الكلام، بل سيصابون بتأخر في النطق.)

لا تخلوا أسرة من الأسر، دون أن تمر بمشكلات وخلافات، ولا تمر حياة الزوجين سعيدة صافية هانئة، دون أن يُعكرها بعض الأزمات والتباين في الآراء ووجهات النظر، لكني هنا أدقق وأؤكد وأوصي بالتزام شيء آخر، وهو محاولة حجب وكتم وإخفاء هذا الخلاف أمام الأبناء، والهروب بأي شجار يحدث بينكما إلى مكان معزول، أو محاولة تأجيله لوقت حتى لا يلمحان بعض تفاصيله، أو يتسرب لوجدانهم منه شيئًا، لما له من نتيجة عكسية وسلبية على شخصياتهم وحياتهم، وإذا حدث خلاف أو تشاجر بين الزوجين، فإنه يظل عالقًا في ذهن الصغار، فما بالنا لو تكرر الشجار وصار سمة طبيعية لهذه العلاقة.

فهناك تهديد سلبي على حياة الأطفال النفسية والعاطفية، وتظهر في أعراض عضوية لا يعلم مصدرها، ونظرًا لأهمية الموضوع وشيوع حدوثه، فقد تم تناولته في كثير من الدراسات التي بينت آثار الخلافات العائلية بين الزوجين على الأبناء، وقد أثبتت الأبحاث أن الطفل يتأثر بالخلافات الزوجية في وقت مبكر من عمره، فقبل أن يبلغ العام يستطيع أن يشعر بغضب الأهل وحزنهم، حتى في المرحلة الجنينية، حيث تُثبت عدد من الأبحاث شعوره بحزن الأم أو غضبها، وكما هو معلوم أن نفسية الأم الحامل تؤثر على الجنين من الناحية الصحية، وهناك الكثير من الجوانب التي يتأثر فيها الطفل بالخلافات بين الأبوين والتي منها، حيث نشرت مجلة علم النفس الامريكية موضوعًا حول الخلافات ومخ الأطفال، في أحدث الدراسات التي قام بها باحثون من جامعة أوريغون بالولايات المتحدة، والتي أكدت إلى أن المشكلات العائلية، تؤثر بالسلب على مخ الطفل، وأن الرضيع يستجيب لنبرة الغضب في الصوت حتى وهو نائم! لأن مخ الرضع يتمتع بدرجه عالية من المرونة، تسمح له بالتطور والنمو تبعًا للتجارب والبيئة التي يعيش فيها، نظرًا لأنه في مرحلة التكوين، لكن بطبيعة الحال لا يكون مخ الرضع بنفس قدرة الطفل أو البالغ.

وأوضح الباحثون أن الضغوط والتوترات الشديدة، مثل سوء المعاملة أو عدم الاستقرار النفسي الناتج من البيئة المتوترة في المنزل؛ من المشاحنات المستمرة بين الآباء، يمكن أن يؤدي إلى عواقب شديدة السلبية والخطورة على نمو الطفل.

وفي تقرير نشرته صحيفة الشرق الأوسط لعدد من المختصين الذي أكدوا أن المشكلة الحقيقية في الخلافات الزوجية، هي شعور الأطفال بعدم الأمان، حيث إن المنزل يُمثل للأطفال المكان الذي يحصلون منه على الحماية، والخلافات الزوجية تشعر الأطفال بعدم الاستقرار والاضطراب، فضلا عن شعورهم بالذنب، وتنامي الإحساس لديهم بأنهم سبب الخلافات بين الوالدين، حيث إن عقلية الطفل تعتقد أن العالم يتفاعل مع تصرفاتهم، حتى ولو كانت خلافات الوالدين لا علاقة لها إطلاقا بالأطفال.

على سبيل المثال، يعتقد الطفل أن خلاف الوالدين سببه أنه غير متفوق في الدراسة بالشكل الكافي، أو بسبب مظهره خاصة إذا كان الطفل يعاني من البدانة أو تشوه خلقي بارز، وأيضًا تواجه الطفل مشكلة أن الخلافات بين الوالدين، تشعره بأنه يجب أن يأخذ جانب أحد الأبوين، وبالتالي يتعاطف مع طرف ضد الآخر، وهو ما ينتج عنه تدمير للصحة النفسية للطفل.

ويتمثل عدم قدره الطفل أو المراهق على التكيف مع مشكلة وجود خلافات زوجية بين الوالدين في عده ظواهر، سواء على المستوى النفسي أو حتى الجسدي، وفي مرحلة الطفولة في الأغلب، ينعزل الطفل عن زملائه في الدراسة، ويتجنب الحديث عن أسرته فضلا عن تراجع الأداء الدراسي، وبالنسبة للمراهق في الأغلب يبدأ في التدخين أو تعاطي المواد المخدرة، ويصبح عدوانيًا، وقد ينخرط في ممارسات غير قانونية نتيجة للبيئة العنيفة التي نشأ بها.

وفضلا عن المشكلات النفسية، يوجد أيضًا الأعراض الجسدية التي يمكن أن تتمثل في إحساس بالصداع المتكرر، وفقدان للشهية، وفقدان للوزن، أو ألم في البطن والمعاناة من التبول اللاإرادي، ويمكن أن يحدث بعد أن يكون الطفل قد توقف تمامًا عن التبول ليلا، ويمكن أن تتفاقم الأعراض إلى حد الإحساس بالإغماء.

وبطبيعة الحال لا يتم التوصل إلى أصل المشكلة بسهولة، لأن الأعراض تكون عامة، ولا يظن الأبوان أنهما مسؤولان عن آلام الطفل، خاصة وأن الكشف الإكلينيكي في الأغلب لا يظهر أي اعتلال، ويجب على الآباء أن يحيطوا الطبيب علمًا بالبيئة النفسية التي يحيا فيها الطفل.

بل ثبت أن هناك علاقة طردية بين زيادة الخلافات الأسرية، وبين نمو الأطفال بطريقة غير سوية، فالمناخ الأسري الهادئ يجعل الأهل يتعاملون مع أبنائهم تعاملاً إيجابيًا مبنيًا على التقبل والاهتمام والحنان العاطفي، مما يجعلهم يتطوّرون عقليًا أكثر من الأطفال المحرومين من رعاية الأهل، الذين يرفضون أبناءهم وتعاملهم معهم بشكل سلبي، وهذا ما يحدث في ظل الخلافات الأسرية المستمرة.

بل المخيف كما ذكر بعض المختصين: أن الطفل الذي ينشأ في جو محاط بالعنف يُصبح هو أيضًا عنيفًا، ويمكن أن يستعمل هذا العنف بالمستقبل لتربية أطفاله، بدون سيطرة، وليس لأنه يريد إعادة هذه التجربة، ولكن بدون شعور منه أو إدراك وسيطرة على ذاته؛ يكرر هذه الخلافات العنيفة نتيجة مشاعر داخلية تكونت لديه، مما رأى من تجارب أهله وخاصة الطفل المعنّف،

فعندما يكون هناك جو من العنف يطغى على العائلة، يكون الطفل هو الضحية لمثل هذه الأعمال من العنف من خلال الضرب، فالطفل المعنّف يترعرع مع مشاعر نقص، ومشاعر ضغط وشعور بالعجز.

قد يظن بعض الآباء أن الخلافات الزوجية الدائمة وعدم التفاهم، لا يؤثر على الطفل طالما لم يكن هناك عنف ملحوظ بين الأبوين؛ سواء على المستوى الفعلي أو اللفظي، لكن الحقيقة أن مجرد عدم وجود التفاهم الكافي والألفة بين الزوجين، يؤثر سلبًا على الطفل، وعلى عكس ما يعتقد الكثيرون، فإن تكرار تلك الخلافات لا يجعل الطفل يتقبلها بسهولة، ولا يعتاد عليها بل على النقيض تزيد من الضغوط النفسية عليه.

ويجب على الآباء العمل على حل الخلافات الموجودة بينهم، وتقريب وجهات النظر وأن يفكروا في صحة أولادهم النفسية، ويستحسن أن يكون الجدال بين الزوجين بعيدا عن الأطفال."[1]

وبعد هذه البلايا التي قد تلحق بالأبناء، وتتسبب في تدمير نفسياتهم، ندرك أن كثيرًا من الأمراض النفسية، والعلل التي تصيب نفسيات الكثيرين من الناس، بسبب هذه الجرائم التي يرتكبها الأبوين دون أن يشعرا، وهو أمر يفرض نفسه على الأسر اليوم أن تُلم بالنصائح العامة في علم النفس، حول هذه الموضوعات الهامة، فنحن نُريد أن نخرج للمجتمع أناس صحيحين معافين، لا في أبدانهم فقط، وإنما في نفسياتهم ووعيهم وعقولهم.

---

[1]- الشرق الاوسط - الجمعة ٠١ جمادى الثاني ١٤٣٤ هـ ١٢ ابريل ٢٠١٣ العدد ١٢٥٥٤

لا تظن أن مجرد عملك ليل نهار، وإتيانك بالمال لتنفقه على أبنائك، وتملأ به جيوبهم وتستري به طعامهم وكسوتهم، أنك بهذا تؤدي ما عليك من حقوق وواجبات؟ إن عليك أنت وزوجتك عبءًا كبير، ورسالة سامية، يجب أن تقوما بحقها أحسن قيام فأنتما اليوم مسؤولان عن أبناء وذرية، تمثل وقود المجتمع في المستقبل القادم، وتفرض عليهم هذه المسؤولية والقيام بأبلغ ما يستطيعون بلوغه وتقديمه في ميدان الرعاية النفسية، قبل الرعاية الجسمانية، ليخرج الأبناء بريئين من العلل الفسيولوجية وأمراض النفوس، وعقد الذات التي يُشقُون بها من حولهم لو أنها تمكنت منهم وتملكت من طباعهم،

إن شجار الأبوين من أبلغ الموبقات التي تهدم نفسية الأطفال وتخلق فيهم أمراضًا نفسية مؤرقة.

كارثة الكوارث

لا شك أن أكبر كارثة حلت في بيوت الزوجية بعصرنا الحاضر، وأعظم مشكلة يُعاني منها الزوجين هي كارثة الفيس بوك، وعلى قدر ما فيه من أشياء إيجابية فإن سلبياته كبيرة وضخمة، تهدد علاقة الزوجين وتهدد بقاءهما تحت سقف واحد في كثير من الأحيان والحالات.

فالزوج لا يراعي مشاعر زوجته، ويقضي أغلب وقته مع صفحته وأصدقائه في الفيس،

الزوج لا يراعي غيرة زوجته وله صديقات كُثر يحدثهم ويحدثونه ويجاملهم ويجاملونه يحييهم ويحيونه،

الزوج يهمل تربية الأبناء ورعاية الأسرة، ويرمي الحمل كاملا على الزوجة لأنه مشغول ببوستات ومنشورات وتعليقات الفيس بوك.

الزوج صار يجلس في البيت صامتًا، وصارت مشاعره مع الزوجة جافة لأن إحساسه واهتمامه الكامل مع الفيس بوك، الذي شل عقله عن التفكير في أي شيء في الحياة.

ولعل أمر الزوج يكون أسهل وأيسر بعض الشيء؛ من زوجة تقضي كل وقتها مع الفيس، فتهمل زوجها فلا تعطيه حقوقه، وبيتها فلا ترعى شؤونه، وتترك أولادها فلا تربيهم كما ينبغي، إن أمر الزوج قد يحتمل أما أن تكون الزوجة بهذه الصور، فإنها تستحق ضرب النار، لأنها بالنسبة للبيت عماده وقوامه، وإذا أهملت في واجبها وفرطت في مسؤليتها، انفرط العقد وفسدت

الحياة وانعدم الرباط المقدس الذي يقوم عليه بيت الزوجية، ربما تقوم ببعض واجباتها، لكنها تتحين الفرصة والوقت الذي تجد فيه متعتها الحقيقية، بين صدقاتها وأصدقائها في الفيس بوك، ومثل هذه الزوجة لا يجد معها الزوج أي نوع من الشغف والهيام، لأن عقلها مأخوذ مسحور بغيره، إنها تعيش معه لكنها في عالم آخر ودنيا غير الدنيا.

الفيس بوك تحول عند بعض الناس إلى شهوة تماثل تمامًا شهور الأكل والجنس، وإذا لم نفطن أننا نتعامل مع شهوة، فسوف تحدث مخاطر كبيرة، وهو أسرع الطرق للخيانة الزوجية، فما على الراغب إلا ان يذهب للشات ويجرب حظه ويتحدث مع هذه وتلك، وتتطور العلاقة من عالم الافتراض والخيال، الى الحقيقة ويبدأ مشوار الخيانة، ولن تستقيم الحياة بعد ذلك أبدًا، مع وجود هذا الشريك الجديد، ولا ينطبق هذا على الزوج وحده، وإنما على الزوجة كذلك، حيت تتحدث إلى غير زوجها وتجد لها عشيقًا، وقد تكون الأحاديث في بدايتها بريئة، يشوبها الاحترام والاتزان، ولكن كل هذا يسقط ويتلاشى درجة درجة حتى يقع في المحظور.!

وطبقًا للإحصائات، فإن الفيس بوك وراء ثلث حالات الطلاق فى العالم، وأفادت بعض الدراسات بأن معدلات الطلاق بين الأزواج، تزايدت بسبب مواقع التواصل الاجتماعي، وأنه من بين أسباب الانفصال بين الأزواج دائمي الاستخدام لهذه المواقع، كما تسبب الفيس في طلاق وتدمير الكثير من الأسر، ففي بعض القصص الغريبة تعرف زوجين على بعضهما بأسماء مختلفة عبر الفيس بوك، حتى جاء موعد اللقاء بينهما واكتشف كل منهما، أنه كان على

علاقة مع شريك حياته لمدة ٧ شهور عن طريق الإنترنت، وحدث الطلاق بينهما بسبب ذلك، إن سوء استخدام هذه المواقع يزيد الفجوة والتوتر في العلاقات بين أفراد الأسرة، ويهدد الاستقرار الأسري، ويمزق أواصر المودة والتقارب بين أفراد البيت الواحد، ويؤدي إلى تجمد العواطف وتزايد درجة العصبية في التعامل وارتفاع نسبة الخلافات الزوجية، كما أنه إذا لم يؤدِي إلى تدمير العلاقة الزوجية؛ فإنه يبقى بمثابة تهديد مستمر للزوجة والزوج والأولاد، يقول أحد الباحثين: من أكبر السلبيات التي يؤدي إليها الافراط في استخدام هذه المواقع هو الطلاق الصامت، كما يعتبره الباحثون من أكبر أسباب الجمود في العلاقة الزوجية، ويعد من أبشع الأساليب التي يستخدمها الزوج في معاقبة زوجه، ولو من غير قصد، وفي كتاب (أسرار الفيس بوك) للباحثة والكاتبة (نادية طاهر) كانت صفحات رائعة تظهر مخاطر هذا الكابوس المؤرق، فبعض الدراسات التي خرجت بها إحدى الجامعات الأمريكية (أشارت إلى أن الأزواج المشغولين بجهاز الإنترنت لا يتحدثون مع بعضهم البعض إلا بمعدل خمس دقائق يوميًا، فهو مشغول طوال اليوم ويكون في البيت مشغولاً أيضاً، هذه هي ضريبة الجلوس أمام الإنترنت حيث تكون الضحية الأولى فيها، الحوار والحب بين الزوجين، فالجنس البشري مهما بلغ من مرتبة، سيظل يحتاج إلى شخص ما يحدثه ويتبادل معه المشاعر والعواطف، فهو في النهاية، لابد أن يشبع رغبته العضوية التي خلقها الله له، فعندما يفقد الزوج لغة الحوار المناسب مع زوجته، تتعطل كل وسائل الاتصال، ولا يجد فيها ذلك الشخص المناسب

لتفريغ شحناته، فإنه يلجأ إلى غيرها من النساء ليقيم معهن علاقة عاطفية خارج مؤسسة الزواج، عن طريق المحادثة الهاتفية أو المحادثة عبر الإنترنت.)

*اتصلت إحدى الزوجات تشتكي زوجها قائلة: كان زوجي كالببغاء أثناء فترة الخطوبة، لدرجة أني أضع إصبعي في أذني حتى يسكت ويصمت عن الحديث، وكان يتحدث بطريقة غير طبيعية معي أثناء زيارته لي، ولكن بمجرد أن تعلم الدخول على مواقع الحوار في الإنترنت، بدأ زوجي يخفف من حديثه معي، وأصبحت الأحاديث بيننا شحيحة جدًا، وكلما مر الوقت تقل أحاديثنا، حتى مضى على زواجنا ثلاث سنوات، وأصبح لا يتحدث معي إلا نادراً، بسبب انشغاله الدائم بالإنترنت، وإذا فتحت معه أحد المواضيع، تكون ردوده عبارات مقتضبة، وفي أحيان كثيرة يتحدث معي بطريقة اليوغا، أي أنه يستعمل رأسه بالموافقة أو الرفض، ولا يرفع نظره من شغفه بالجهاز، وغدا هو المستمع وأنا أتحدث وأتكلم، عندما يدخل المنزل يتحجج بالتعب والجهد، لكن بمجرد أن يتناول عشاءه ينطلق إلى الإنترنت ليبحث عن مواقع الدردشة مع النساء.

* وتقول أخرى في إحدى اتصالاتها تصف زوجها: إنه كالحجر الصلد، معظم حواراتنا تتحول تدريجيًا إلى شجار ونزاع، لا يعرف كيف يعبر عن أي مشاعر إلا بالغضب، كلما حاولت أن أجره نحو حديث ما يجيب بكل برود، والسبب كما تعلمون انشغاله الدائم بالإنترنت، حتى إنني أشعر أحيانًا بأني معزولة عن عالمه وغير معترف بوجودي في المنزل.

وفي تحقيق منشور تحت عنوان قصص بيوت خربها فيسبوك سردت "ليلى" السيدة الثلاثينية معاناتها مع الخيانة التي وجدت زوجها متلبس بها بعد

سلسلة من الانشغال عنها بالفيس بوك قائلة ": كان زوجي دائم المتابعة لصفحته الشخصية على "الفيس بوك"، وكنت أراقبه وأكثر من مرة اكتشفت محادثات غامضة له مع فتيات غريبة، لكن كنت أظن أن الامر سيتوقف عند هذا الحد، حتى جاء اليوم الذى خرجت فيه الخيانة من الإنترنت إلى السرير.

في حين اعترف "مصطفى" بأن متابعة صفحته على موقع التواصل الاجتماعي " تويتر" أفضل من النقاش مع زوجته قائلا": النقاش بيني وبين زوجتي على أي تفاصيل في حياتنا عادة ما ينتهي بالنزاع والخناق، في حين أننى أجد سعادتي بمتابعة أصدقائي والتويتات الخاصة بهم، ولا أجد من يدفعني إلى المشاكل، لذلك أعترف أنني أفضل تويتر.

بينما أثار " أحمد" نقطة هامة تتبعها بعض السيدات والرجال احيانا عندما صرح بتأجيل زوجته للعلاقة الحميمة من أجل متابعة صفحاتها على مواقع التواصل الاجتماعي موضحا ": زوجتي مهوسه بعالم الإنترنت والتعليقات والإعجاب ونشر الصور، ومنخرطة طوال الوقت في هذه المهام، الأمر الذي يجعلها تتجاهل رغباتي في إقامة علاقة حميمية معها إذا كانت مشغولة، وهو الامر الذي يزعجني كثيرا ويصل بنا إلى مشاكل من الممكن أن تصل إلى حد الانفصال.

أما نانسي الفتاة العشرينية التي تؤكد على إهمال زوجها لطلبات المنزل في مقابل تزويد باقات الإنترنت، وتجديد الاشتراك به فالأمر لم يمر مرور الكرام بالنسبة لها، لأن هذه العادة دائما ما استفزتها وخلقت المشاكل بينهما التي تصل إلى حد الانفصال."[1]

زوجة في الثلاثين من عمرها تمتلك مقومات الجمال والثقافة أنجبت طفلين في قمة الجمال أما الزوج رجل عملي يقضى يومه في عمله بأحد البنوك سرعان ما يعود إلى منزله منهكاً من كثرة الإرهاق الذهني الذي وقع عليه طول اليوم من اجل توفير مستوى حياة كريمة لأسرته الصغيرة

الملل كان بطل تلك الواقعة الذي سرعان ما تسرب الى قلب الزوجة بعد أن أصبح يومها متكرراً لا جديد فيه بدأت الزوجة الجميلة في البحث عن وسيلة للهروب من هذا الشبح الذي أصبح يطاردها ليل نهار بسبب إهمال زوجها لها وحياتها الروتينية

قررت أن تكسر حدة الملل بعمل " أكونت " لها على موقع التواصل الاجتماعي " الفيس بوك " بدأت الزوجة بإضافة بعض الأصدقاء والمعارف وآخرين قادها حظها العثر في الوقوع في الخطيئة بعد ان تعرفت على أحد الأشخاص الذي جذبها بكلامه المعسول

ساعات طويلة قضتها الزوجة في الجلوس أمام جهاز الكمبيوتر تنتظر صديقها الجديد للتحدث معه عن حياتها الزوجية الخاصة وإخباره بأدق التفاصيل حول إهمال زوجها المستمر.

---

[1] - من تحقيق منشور بموقع صحيفة اليوم السابع بتاريخ الجمعة ٢٥ ديسمبر ٢٠١٥م

استغل الصديق معاناة الزوجة وحرمانها العاطفي وأغدق عليها بحنانه وكلامه المعسول حتى تعلق قلب الزوجة به تبادل الطرفان أرقام الهواتف وتحولت الصداقة من الفيس بوك إلى التحدث على التليفون أهملت الزوجة بيتها وزوجها وطفليها

بدأت الزوجة في التمرد على حياتها مع زوجها بعد أن تعرفت على صديق " الفيس بوك " وفى أحد الأيام طلب منها التقابل معها في أحد

الكافيهات الشهيرة بمنطقة مصر الجديدة وبالفعل بدون تردد وافقت الزوجة على العرض وتقابلت مع صديقها

عادت الزوجة إلى المنزل وهي شاردة الذهن تحلم بان يكون صديقها الجديد مكان زوجها جلست على في صالة الشقة شاردة الذهن وأحلام اليقظة تطوف حول رأسها لكنها سرعان ما استيقظت من حلمها على دقات جرس الباب وعودة زوجها

تعددت اللقاءات بين الزوجة والصديق الذي تحول إلى حبيب لم تعد قادرة على فراقه لحظة واحدة

بدأ الزوج المخدوع يشعر بتغير أحوال زوجته طرأت على زوجته في الفترة الأخيرة قرر التقرب منها والتحدث لها لكنها قابلت ذلك بطريقة عنيفة وفى احد الأيام عاد الزوج على عادته للمنزل ووجد زوجته تتحدث لشخص وتخبره بحبها له وأنها أصبحت غير قادرة على الابتعاد عنه أصيب الزوج بصدمة أصبح غير قادر على الحديث عاد بخطوات ثابتة إلى صالة الشقة وجلس على احد المقاعد وهو يأخذ نفساً عميقاً حتى يتمكن من استعادة قواه

رفع نظره إلى سقف الشقة وهو يتذكر أول يوم شاهد فيه زوجته وكم الحب والمشاعر الدافئة ويقارن بينه وبين ما شاهده وسمعه

استجمع الزوج كافة قواه وقرر مراقبة زوجته وبعد فترة قام بمواجهتها بوجود علاقة غرامية مع أحد الأشخاص لكنها أنكرت وبالضغط عليها انهارت واعترفت بوجود علاقة حب مع أحد الأشخاص بعد ان تعرفت عليه على الفيس بوك وأنها ارتبطت به بعلاقة عاطفية

جلس الزوج في حالة وجوم وذهول بعد أن سمع كلام زوجته نظر إلى طفليه الصغيرين ومستقبلهما والفضيحة التي ستلحق بهما بعد الانفصال قرر سماحها لكن قلبها مازال متعلق بحبيبها " الفيس بوكى " الذي أصبح يطاردها في كل مكان لم تتحمل الزوجة الابتعاد عن حبيبها وعادت للتحدث وحرر الزوج محضر لزوجته بقسم الدرب الاحمر يتهمها بالخيانة"[١]

وتقول إحدى الأخصائيات في علم الاجتماع: لا يمكن أن ننكر فائدة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماع عل وجه الخصوص بالنسبة لمد الوصل بين الناس مرة أخرى وتقريب البعيد، لكنها على الجانب الأخر من الحياة الزوجية والأسرية استطاعت أن تبعد القريب وتفرق بين أفراد الأسرة الواحدة، فأصبح مشهد الانشغال بالهواتف والتابلت وغيرها من الأجهزة الحديثة أمر وعادة متكررة ومستمرة ٢٤ ساعة، في مقابل إهمال واجبات كل فرد ، ومن هنا تخلق المشاكل وتتاح الفرص للخيانة، لذلك يجب أن نقلل هذا الإدمان ونتحكم فليه بدلا من أن يسيطر على حياتنا ويهدمها ويكون السبب الرئيسي لخراب البيوت،"[٢]

---

١ - موقع صدى البلد نشر بتاريخ الاربعاء ٦مارس ٢٠١٣م

٢- موقع اليوم السابع

المحتويات

مقدمة ٧

حتى يتجدد الحب ٩

تعلموا فن الحياة الزوجية ١٣

متجملون أم كاذبون؟! ١٧

التغافل ضرورة زوجية ٢٤

بين المحاسن والمعايب ٢٨

الغيرة الحمقاء ٣٤

الخرس الزوجي ٣٨

أشباح الماضي ٤٣

احذر أخلاق زوجتك ٤٨

الزوج الجاف ٥٣

الزوج المعقد ٥٨

أيها الزوج، كن كاذبًا ٦١

الهروب من المسؤولية! ٦٦

الزوج الحاقد ٧١

الزوج الفضّاح! ٧٥

الزوج البخيل ٨٠

حينما يصير الرجل نطعاً؟! ٨٥

زوجي خيال مآته! ٩١
الزوجة المهملة ٩٤
الزوجة العنيدة ٩٩
المتجبرون على المرأة! ١٠٥
ارحمي عجز زوجك ١٠٩
الزوجة الجاحدة ١١٦
اعقدة المرأة ١١٢
لزوجة الخروبية ١٢١
الزوجة الحساسة ١٢٦
لا تضربي زوجك ١٣١
الزوجة المفركشة ١٣٥
بكرا النكد بكرا ١٣٩
لا تكتمي دموعك ١٤٤
دعها تثبت ذاتها ١٥٠
الفرار من الشجار ١٥٥
كارثة الكوارث ١٦١

طبعت بمطبعة يسطرون

01229300029 - 01157760052 - 01030244751